الشاعر الفلسطيني

عز الدين المناصرة

الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الأول



عز الدين المناصرة من الأصوات الشعرية الفلسطينية القوية والمتميزة في المشهد الشعري العربي التي أفرزتها نكسة هزيمة ٦٧ وماانتج عنها من تنكيل وتشريد أكثر للشعب الفلسطيني وتشرذم أعمق في الصف العربي ...

في تجربة المناصرة الشعرية نلامس تلك الرؤية الحكيمة والخبرة الذاتية العميقة في القبض واقتناص تفاصيل اليومي سواء على جغرافية الأرض السليبة أوفي جغرافية الغربة القاسية حيث تتعاظم أسئلة الهوية والإنتماء والعشق في مختلف تجلياته الوجودية...

بإصدار هذه الأعمال الشعرية الكاملة رقميا يكون الشاعر الكبير عز الدين المناصرة قد إنعطف في مسار تواصله مع القارئ العربي من سند الورق ورائحته العريقة .. نصاعة بياضه .. حميميته .. نوستالجيته إلى السند الإلكتروني .. إغراءاته التشعبية .. حرباتيته اللونية .. ورفقاته المتعددة .. مما سيعطي لطعم تجربته الذاتية وهم القضية العربية مذاقا وبعداً جديدين وكونيين لاتحدهما تلك المتاريس التقليدية ...

عبده حقي

سيرة الشاعر الفلسطيني

عز الدين المناصرة



عز الدين المناصرة 11 أبريل 1946م شاعر وناقد ومفكر من مواليد محافظة الخليل بفلسطين عام 1946. ، تعلم في (مدرسة الحسين بن علي الثانوية)بمدينة (الخليل) بفلسطين وحصل على شهادة التوجيهي (الثانوية العامة) في صيف 1964--حصل على شهادة (الليسانس) في (اللغة العربية، والعلوم الإسلامية)، 1968، و(دبلوم الدراسات العليا)في النقد الأدبي والبلاغة والأدب المقارن عام 1969 في (كلية دار العلوم- جامعة القاهرة)... ثم أكمل دراساته العليا لاحقاً، وحصل على (شهادة التخصص) في الأدب البلغاري الحديث، وحصل على (درجة الدكتوراه) في النقد الحديث والأدب المقارن في جامعة صوفيا، 1981،... كما حصل على رتبة الأستاذية (بروفيسور) في جامعة فيلادلفيا، عمّان 2005. ..-أصدر (أحد عشر ديوانا شعريا) و(خمسة وعشرين كتابا) في النقد الأدبي والتاريخ والفكر...- ...وصدر عن تجربته الشعرية والنقدية منذ 1998 ما يقرب من(29 كتابا نقديا) أغلبها رسائل ماجستير ودكتوراه في الجامعات العربية... وترجمت أشعاره الى مايقرب من ثلاثين لغة أجنبية...ويعمل منذ 1995 أستاذا بجامعة فيلادلفيا الأردنية الخاصة. وسبق أن عمل أستاذا في الفترة (1983-1994)في الجامعات التالية: (جامعة قسنطينة-جامعة تلمسان-جامعة القدس المفتوحة- كلية العلوم التربوية (الأونروا-عمان.)-- وشارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة(1964-1994) - وكان

(المناصرة) هو الشاعر الفلسطيني الوحيد الذي حمل السلاح دفاعا عن المخيمات الفلسطينية والجنوب اللبناني في المرحلة اللبنانية للثورة الفلسطينية.

عاش الشاعر والناقد والمفكر متنقلاً في عدة بلدان -هي: فلسطين (1946-1964)، مصر (1964-1970)، الأردن (1970-1973)، لبنان (1973-1977) بلغاريا (1977-1981)، لبنان (1981-1982)، تونس (1982-1983)، الجزائر "قسنطينة"(1983-1987)، الجزائر "تلمسان" (1987-1991)، الأردن (1991-حتى اليوم)-حيث لم يسمح له بالدخول الى مسقط رأسه فلسطين منذ 15 أكتوبر 1964 وحتى اليوم.

حياته العملية:

عمل صحافياً ومذيعاً في الأردن، وفي منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان في الفترة (1970-1982). ويعمل منذ 1983 وحتى اليوم(2013) في التعليم الجامعي.

عضو مؤسس في اتحاد كتاب فلسطين منذ(مؤتمر غزة 1966.) بترشيح من غسان كنفاني وعبد الكريم الكرمي (أبو سلمى).-- وهو أيضا: (مُؤسس)، رابطة الكُتّاب الأردنيين، (مقرر اللجنة التحضيرية التأسيسية) . كتب نظامها الداخلي وأعلن تأسيسها بنفسه في (ندوة (نادي خريجي الجامعة الأردنية)في جبل عمان بمشاركة عيسى الناعوري ومحمود سيف الدين الإيراني ومحمود السمرة بتاريخ 1973/12/23)-- انظر (جريدة الرأي الأردنية 24 كانون أول 1973---ومدير ومذيع البرامج الثقافية في الإذاعة الأردنية حتى عام 1973 ثم فصل من عمله فصلا تعسفيا لأسباب سياسية --ونائب رئيس تحرير مجلة (أفكار) الأردنية لعدد واحد -ديسمبر 1973.

أستاذ مساعد(أسس قسم الأدب المقارن)بجامعة قسنطينة، الجزائر، (1983-1987)--- فصل من عمله فصلا تعسفيا بتحريض من(الأفغان الجزائريين) وبتحريض من (الشيخ محمد الغزالي) بعد خطبة له ضد(أشعار المناصرة) في المؤتمر الدولي (جدوى الأدب في عالم اليوم) في مدينة (باتنة الجزائرية). وتم قرار الفصل بموافقة رئيس الجمهورية الجزائرية (الشاذلي بن جديد) ووزير الأديان (بوعلام باقي)-بينما اعترض على القرار رئيس الوزراء (عبد الحميد ابراهيمي) كما قالت حرفيا (جريدة الشروق) الجزائرية بتاريخ (29 جوان 2004.)

أستاذ مشارك ، بجامعة تلمسان، الجزائر، :(ساهم في تأسيس معهد الثقافات الشعبية)-(1987-1991.)

)مؤسس)، ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القدس المفتوحة، (م.ت.ف)، عمّان، (1991-1994.)

شارك في الثورة الفلسطينية المعاصرة (1964-1994)، وحمل السلاح دفاعاً عن المخيمات الفلسطينية، في لبنان، وشارك في (معركة كفرشوبا،)- (الجنوب اللبناني)، يناير 1976).كذلك شارك

في(معركة المتحف) في حصار بيروت 1982.. وهو قائد (معركة المطاحن) في جبهة جنوب بيروت في حزيران 1976 من أجل رفع الحصار عن مخيم تل الزعتر.)

رئيس القسم الثقافي لمجلة (فلسطين الثورة)، الناطقة بلسان (م.ت.ف)، بيروت، يناير 1974-1977.

مدير (مدرسة أبناء وبنات مخيم تل الزعتر)-بعد تهجيرهم إلى (الدامور)، لبنان، 1976.

عضو القيادة العسكرية للقوات الفلسطينية – اللبنانية، المشتركة، (بالإنتخاب) -(جبهة جنوب بيروت)، 1976.

رئيس المؤتمر التأسيسي لحركة فتح، في جمهورية بلغاريا(بالانتخاب) ، ديسمبر 1977.

مدير تحرير (جريدة المعركة) (بالإنتخاب) خلال حصار بيروت، 1982.

سكرتير تحرير (مجلة شؤون فلسطينية)، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، 1982-1983---عاش حصار بيروت وغادرها بتاريخ 1-9-1982 على ظهر السفينة اليونانية (شمس المتوسط) الى ميناء طرطوس السوري. ثم غادر سوريا الى (عمان -الأردن)لكن السلطات الأردنية أبعدته بقرار رسمي مع زوجته وطفله الى تونس بتاريخ 10-12-1982. وسحبت منه الجنسية الأردنية حيث عاش في تونس عاما ثم انتقل الى الجزائر وعاش فيها (8 سنوات)--وسمح له بدخول الأردن بتاريخ 18-7-1991 بعد عفو ملكي عام وأعيد له جواز سفره.

رئيس اللجان الفلسطينية للوحدة الوطنية، (بالإنتخاب)-الجزائر (1985-1987).

عميد كلية العلوم التربوية، (وكالة الغوث الدولية)، عمّان، 1994-1995.ثم فصل تعسفيا من عمله: حين قررت رئاسة الوكالة (الأونروا)في (فيينا- النمسا) إغلاق الكلية تحت ذريعة نقص الأموال وتحقق السلام (اتفاق أوسلو) لكن العميد المناصرة أعلن احتجاجا رسميا على قرار الوكالة وانتقد الفساد في إدارتها العليا مما أدى إلى اتخاذ الوكالة قرارها الشهير (التراجع عن قرار إغلاق الكلية مع فصل العميد). وخرجت تظاهرات شعبية واعتصامات أمام مبنى الوكالة بعمان تطالب بعودة العميد دون جدوى- -ولكن بعد خمسة أشهر من فصل (المناصرة) من عمله - فصل (الترتوركمان) المفوض العام للأونروا الذي كان قد اتخذ قرار فصل المناصرة - فصل من عمله (بتهمة الفساد).(

ساهم في تأسيس (كلية الاداب بجامعة فيلادلفيا) منذ 1995 مع صالح أبو اصبع وأحمد الكراعين وغيرهما - وقد عمل فيها: نائبا لعميد الكلية وعميدا بالوكالة عدة مرات.. وهو نائب رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر الدولي العلمي السنوي لكلية الاداب..-- ورئيس قسم العلوم الانسانية واللغات الأجنبية -ورئيس قسم اللغة العربية وادابها -..ورئيس تحرير مجلة (فيلادلفيا الثقافية) حتى عام 2012. وهو أستاذ النقد الأدبي والأدب المقارن وعلم العروض ونظرية الأدب ومادة الأجناس الأدبية ومادة تذوق النص الأدبي والثقافة الجمالية والحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية وأدب فلسطين والأردن -- كذلك كان (المناصرة) عضوا في مجلس مركز اللغات- و عضوا في مجلس الجامعة - وعضوا في مجلس البحث العلمي للجامعة عدة مرات.- وعضوا في مجلس الدراسات العليا بكلية

الاداب.- ورئيس اللجنة الثقافية بكلية الاداب (1995-2005)-- -16 -مستشار جريدة (الفينيق) 1996-2000) الصادرة عن غاليري الفينيق -عمان.

17--مستشار مجلة (كتابات معاصرة) التي تصدر في بيروت منذ1996-حتى اليوم --18. مستشار (مؤسسة السياب الثقافية) لندن--19 .عضو الجمعية العالمية للأدب المقارن منذ مؤتمر باريس عام 1985- 20 عضو مؤسس ونائب الأمين العام للرابطة العربية للأدب المقارن (بالإنتخاب)منذ 1983-1992-- (21)عضو مؤسس في جمعية الحنونة للفنون الشعبية -عمان-(22)- عضو الجمعية الأدبية المصرية (1964-1970) القاهرة --(23)- مراسل صحفي في القاهرة لمجلة (الأفق الجديد) في القدس (1964-1966) وجريدة (أخبار فلسطين) في قطاع غزة حتى عام 1967--- (24) -ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (فلسطين ملحق المحرر) في بيروت 1965-1966- - (25) ومراسل صحفي في القاهرة لمجلة (مواقف) اللبنانية و(الهدف) الفلسطينية 1969-1970-- (26)عضو الهيئة الإدارية للنادي السينمائي العربي (بيروت- 1976)--(27)-عضو الهيئة الاستشارية للجنة السينما في مؤسسة شومان عمان 1992-- .

1المجموعات الشعرية

يا عنب الخليل، القاهرة – بيروت، 1968.

الخروج من البحر الميت، بيروت، 1969.

مذكرات البحر الميت، بيروت، 1969.

قمر جَرَشْ كان حزيناً، بيروت، 1974.

بالأخضر كفّناه، بيروت، 1976.

جفرا، بيروت، 1981.

كنعانياذا، بيروت، 1981.

حيزية عاشقة من رذاذ الواحات -عمّان، 1990.

رعويّات كنعانية، قبرص، 1992.

لا أثق بطائر الوقواق،- رام الله، 2000.

لا سقف للسماء،- عمّان، 2009.

)باللغة الفرنسية): مختارات من شعره بعنوان، (رذاذ اللغة)،ترجمة: الدكتور محمد موهوب، وسعد الدين اليماني، دار سكامبيت، بوردو، فرنسا 1997.

)باللغة الفارسية): مختارات من شعره بعنوان (صبر أيوب)، ترجمة الدكتور موسى بيدج، طهران، 1996.

)باللغة الإنجليزية): مختارات من شعره، ترجمة: الدكتور عيسى بُلّاطة، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

)باللغة الهولندية): مختارات من شعره، ترجمة كيس نايلاند، منشورات مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

الأعمال الشعرية (في مجلّدين)، الطبعة السادسة، دار مجدلاوي، عمّان، 2006، (1086 صفحة.(

يتوهج كنعان، (مختارات شعرية)، دار ورد، عمّان، 2008.

18.توقيعات عزالدين المناصرة : (إبيجرامات شعرية مختارة)--الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

الكتب النقدية والفكرية

--الفن التشكيلي الفلسطيني-منشورات فلسطين الثورة-بيروت -1975.

السينما الإسرائيلية في القرن العشرين، بيروت، 1975.

)جمع وتحقيق) – الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد – عبد الرحيم محمود، دمشق، 1988.

المثاقفة والنقد المقارن -،عمّان، 1988.

علم الشعريات، عمّان، 1992.

حارس النص الشعري، بيروت، 1993.

جفرا الشهيدة وجفرا التراث-، عمّان، 1993.

جمرة النص الشعري، عمّان، 1995.

شاعرية التاريخ والأمكنة – (حوارات مع الشاعر المناصرة)، بيروت – عمّان، 2000.

إشكالات قصيدة النثر، بيروت – رام الله 1998.

موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين (في مجلّدين)، عمّان، 2003.

لغات الفنون التشكيلية، عمّان، 2003.

الهويّات، والتعددية اللغوية، عمّان، 2004.

علم التناصّ والتلاصّ، عمّان، 2006.

السماء تغنّي: (قراءة في تاريخ الموسيقا العربية)، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

فلسطين الكنعانية: (قراءة جديدة في تاريخ فلسطين القديم)، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2009.

قصة الثورة الفلسطينية في لبنان (1972-1982)، الدار الأهلية، عمّان، 2010.

تفكيك دولة الخوف، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

لا أستطيع النوم مع الأفعى،(حوارات مع الشاعر المناصرة)- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

الأجناس الأدبية -دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

امرؤ القيس الكندي، دار الراية للنشر والتوزيع: عمّان، 2011.

أكبر من دولة فلسطينية أقل من دولة كنعانية -، دار الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

بالحبر الكنعاني نكتب لفلسطين - (1964-1996)، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

نقد الشعر في القرن العشرين، الصايل للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

.25الكف الفلسطيني تناطح المخرز الأمريكي-- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013.

المشاركة في (مراجعة وتحرير) كتب فكرية أكاديمية

العولمة والهوية – منشورات جامعة فيلادلفيا، عمّان، الأردن، 1998.

الحداثة وما بعد الحداثة- منشورات جامعة فيلادلفيا، 1999.

الحرية والإبداع- منشورات جامعة فيلادلفيا 2001.

4العرب والغرب – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2003.

الحوار مع الذات – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2004.

استشراف المستقبل – منشورات جامعة فيلادلفيا، 2005.

ثقافة المقاومة، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2006.

ثقافة الخوف، منشورات جامعة فيلادلفيا، 2007.



)مراجعة وتقديم): كتاب – السيميائية: الأصول، القواعد والتاريخ، ترجمة: الدكتور رشيد بن مالك، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

كتب نقدية عن تجربته الشعرية والنقدية

محمد بن أحمد، وآخرون: البنية الإيقاعية في شعر المناصرة، منشورات اتحاد كتاب فلسطين، رام الله، 1998.

عبد الله رضوان، (جمع وتحرير): امرؤ القيس الكنعاني- قراءات في شعر المناصرة، المؤسسة العربية، بيروت – عمّان، 1999.

ليديا وعد الله: التناصّ المعرفي في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2005- (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر.

د. فيصل القصيري: بنية القصيدة في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005- (رسالة دكتوراه)، جامعة الموصل، العراق.

د. محمد صابر عبيد: حركية التعبير الشعري في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2005.

سامح حسن صادق: عز الدين المناصرة، وفنّه الشعري، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، 2005- (رسالة ماجستير)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

زياد أبو لبن، (جمع وتحرير): غابة الألوان والأصوات في شعر المناصرة، دار اليازوري، عمّان، 2005.

د. محمد بودويك: شعر المناصرة: بنياته، إبدالاته، وبُعده الرعوي، دار مجدلاوي، 2006- (رسالة دكتوراه)، جامعة فاس، المغرب.

د. محمد عبيد الله، (جمع وتحرير): شعرية الجذور، قراءات في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، 2006.

صادق الخضور: التواصل بالتراث في شعر المناصرة، دار مجدلاوي، عمّان، 2007- (رسالة ماجستير)، جامعة الخليل، فلسطين.

مي عبد الله عدس: أنثى القصيدة في شعر المناصرة (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، أيار 2006، دار الكندي، إربد، الأردن، 2007.

عبّاس المناصرة: (أرشيفٌ أخضر لعزالدين المناصرة)، دار جرير، عمّان، 2008.

يوسف رزوقة(جمع وتقديم):(المناصرة) شاعر المكان الفلسطيني الأوّل، دار مجدلاوي، عمّان، 2008.

وليد بو عديلة: (شعرية الكنعنة: تجليات الأسطورة في شعر المناصرة)، (رسالة دكتوراه) جامعة عنّابة، الجزائر، دار مجدلاوي، 2009.

فتيحة كحلوش: بلاغة المكان في الشعر العربي الحديث: (سعدي يوسف، وعز الدين المناصرة)، (رسالة ماجستير)، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1997، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2008.

ساطي القطيش: الصورة الشعرية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة مؤتة، الأردن، ديسمبر 2006- (غير منشورة).

فادي خطاطبة: الرموز التراثية في شعر المناصرة، (رسالة ماجستير)، جامعة اليرموك، الأردن، 2007- (غير منشورة).

ريتا حدّاد: الشهيد والاستشهاد في الشعر الفلسطيني الحديث: (عز الدين المناصرة، محمود درويش، وسميح القاسم)، الجامعة اللبنانية، بيروت، 2008 – (غير منشورة).

سالم عبيد سلمان:أبو محيسن):(المناصرة، شاعراً: دراسة في المحتوى والفن)، دكتوراه، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 2008(غير منشورة).

د. فريال غزول، (إشراف): الفلسطينيون، والأدب المقارن: (روحي الخالدي، إدوارد سعيد، عز الدين المناصرة، حسام الخطيب)، منشورات قصور الثقافة، مصر، 2000.

د. حسن عليان (تحرير وتقديم): (عزالدين المناصرة هوميروس العرب)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.

زايد الخوالدة: صورة المكان في شعر عزالدين المناصرة، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، 2012.

حيدر السيد أحمد: شعر عزالدين المناصرة، دراسة فنية، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة دمشق، 2011.

مريم السادات مير قادري: (المناصرة في النقد الأدبي الإيراني الحديث)- الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013-(رسالة ماجستير -إيران).

إيمان بن أوذينة: قصيدة النثر العربية : المناصرة أنموذجا-دار الصايل للنشر والتوزيع -عمان 2013-(رسالة ماجستير -الجزائر).

د. عباس عبد الحليم عباس:(جهود عزالدين المناصرة في مجال الأدب المقارن) -(الأكاديميون للنشر والتوزيع) عمان 2012.

زياد أبو لبن(جمع وتحرير): (الحداثة الشعرية عند المناصرة)- منشورات الصايل عمان 2013.

د. فتيحة كحلوش: (الشعرية الفلسطينية: (عزالدين المناصرة ومحمود درويش)- منشورات الصايل 2013.

أمل محمد حمد العمايرة: توظيف الموروث الشعبي في الشعر الأردني الحديث: (عرار -عزالدين المناصرة- حيدر محمود)منشورات الصايل للنشر والتوزيع عمان 2013 -(رسالة ماجستير)جامعة مؤتة الكرك الأردن.

مشاركات شعرية في مهرجانات عربية وعالمية

--مهرجان فلسطين الشعري(مدير المهرجان)-بدعوة من نقابة المحامين المصريين -القاهرة 16 مارس اذار 1967.

-1مهرجان الشعر العربي، بدعوة من (مؤتمر اتّحاد كُتّاب فلسطين الثاني)، القاهرة، 1969.

-2ملتقى الشعر العربي الحديث الأوّل، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، ديسمبر 1970.

-3مهرجان (المربد) الشعري الأوّل، العراق، 1971.

-4ملتقى الشعر العربي الثاني، بدعوة من (النادي الثقافي العربي)، بيروت، 1974.

-5مهرجان الشعر العالمي، بلاغويف غراد، بلغاريا، 1979.

-6مهرجان الشعر العالمي، بيلْغراد، يوغسلافيا، 1980.

-7مهرجان الشقيف الشعري، بيروت، 1981.

-8مهرجان الأيام الشعرية التونسية، يناير، 1983.

-9مهرجان قرطاج الدولي، صيف 1983.

-10مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، الجزائر، 1984.

-11مهرجان بسكرة الشعري، الجزائر، 1986.

-12ملتقى الأدب والثورة، سكيكدا، الجزائر، 1986.

-13ملتقى القصيدة الملتزمة، مدينة قالمة الجزائرية، 1987.

-14مهرجان (ذكرى معين بسيسو) الشعري، تونس، 1988.

-15مهرجان الشعر العربي، (بمناسبة تأسيس جمعية الجاحظية الثقافية)، الجزائر، 1989.

-16مهرجان الشعر العربي، أصيلة، المغرب، 1990.

-17مهرجان الشعر العربي، بدعوة من اتحاد الكتاب العرب، تونس، ديسمبر 1990.

-18مهرجان (فاس) الشعري، المغرب، 1991.

-19مهرجان الشعر العربي، (بدعوة من اتحاد الكتاب العرب)، عمّان، ديسمبر 1992.

-20مهرجان جرش الشعري، عمّان، 1993.

-21مهرجان تطاوين الشعري، تونس، 1996.

-22مهرجان الرباط الثقافي،المغرب، 1997.

-23مهرجان الربيع الفلسطيني، باريس، 1997.

-24مهرجان الثقافة الفلسطينية، مونتريال، كندا، 2000.

-25مهرجان شعراء البحر المتوسط الأوّل، الإسكندرية، 2003.

-26مهرجان الشعر العالمي، روتردام، هولندا، 2003.

-27مهرجان الشعر الإسباني، جامعة مدريد المستقلة، 2005.

-28مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، تونس، 2006.

-29ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، 2007.

-30ملتقى القاهرة الشعري الدولي (الثاني)، القاهرة، 2009.

-31مهرجان سوق عكاظ الشعري، الطائف، السعودية، 2009.

-32مهرجان الشعر العالمي الأول، طهران، إيران، 2010.

-33مهرجان ملتقى النيلين الشعري الثاني، الخرطوم، السودان، 2012.

.35ملتقى القاهرة الشعري الدولي الثالث- 2013.

مقدمات وكلمات لمؤلفات عربية

.1صابر عبد الدايم (مصر): نبض قلبين، (مجموعة شعرية)، القاهرة، 1969.

.2توفيق زيّاد (فلسطين - 48): ديوانه، ط1، دار العودة، بيروت، آذار 1970.

.3نزيه القسوس (الأردن): يوميات حزيران (مجموعة شعرية)، عمّان، 1972.

.4راشد حسين (فلسطين - 48): أنا الأرض لا تحرميني المطر، (مجموعة شعرية)، بيروت، 1976.

.5ليلى فايد (لبنان): حوارات مع أطفال مخيّم تل الزعتر ، لبنان، (حوارات)، بيروت، 1977.

.6جواد الأسدي (العراق): مجموعة شعرية، صوفيا، 1980.

.7سلمان ناطور (فلسطين-48): أبو العبد في قلعة زئيف، (مجموعة قصصية)، بيروت، 1982.

.8أسعد الأسعد (فلسطين – الضفة الغربية): أنا وأنتِ، القدس والمطر (مجموعة شعرية)، رام الله، فلسطين، 1982.

.9محمد العوني (تونس): مملكة القرنفل (مجموعة شعرية)، تونس، 1984.

.10باسل طلّوزي (فلسطين): نشيد المرأة العابرة (مجموعة شعرية)، عمّان، 1991.

.11جميل أبو صبيح (فلسطين): الخيل، البحر والجسد، (مجموعة شعرية)، عمّان، 1993.

.12خليل السواحري (فلسطين): للحزن ذاكرة وللياسمين (نصوص) عمّان، 1993.

.13ضياء خضير (العراق): ثنائيات مقارنة (دراسات في الأدب المقارن)، عمّان، 1993.

.14عزيز السماوي (العراق): النهر الأعمى، (مجموعة شعرية باللهجة العراقية)، لندن، 1995.

.15عمر أبو الهيجاء (فلسطين): معاقل الضوء، عمّان، 1995.

.16كتاب (فخري قعوار: ثلاثون عاماً من الإبداع)، عمّان، 1996.

.17نزيه القسوس (الأردن): أغنيات للحب والوطن، (مجموعة شعرية) عمّان، 2000.

.18أحمد حازم (فلسطين): سياسون ومواقف (حوارات)، ألمانيا، 2000.

.19ضياء خضير (العراق): شعر الواقع وشعر الكلمات (دراسة نقدية)، دمشق، 2000.

.20محمد توفيق السهلي (فلسطين): موسوعة المصطلحات والتعبيرات الشعبية الفسطينية، عمّان، 2001.

.21صالح أبو أصبع (فلسطين): قصص بلون الحب (مجلد الأعمال القصصية)، عمّان، 2001.

.22فوّاز عيد (فلسطين): الأعمال الشعرية، عمّان، 2002.

.23رشيد بن مالك (الجزائر): السيمائية: الأصول، القواعد والتاريخ (ترجمة من الفرنسية)، الجزائر – عمّان، 2002 + 2008.

.24كتاب (خليل السواحري – قمر القدس الحزين)، عمّان، 2003.

.25جهاد الرنتيسي (فلسطين): سياسة الترانسفير الإسرائيلية، عمّان، 2003.

.26وهيب نديم وهبة (فلسطين - 48): كتاب الإنسان، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2003.

.27هارون هاشم رشيد (فلسطين – قطاع غزة): إبحار بلا شطآن، (مذكرات)، عمّان، 2004.

.28أحمد أبو سليم (فلسطين): دم غريب (مجموعة شعرية)، عمّان، 2005.

.29هارون هاشم رشيد: الأعمال الشعرية، عمّان، 2006.

.30شاهر خضرة (سوريا): ديوان الأسماء، تونس، 2006.

.31هارون هاشم رشيد: أبو جلدي والعرنيط (أدب شعبي)، 2007.

.32صلاح أبو لاوي (فلسطين): الغيم يرسم سيرتي، (مجموعة شعرية)، عمّان، 2008.

.33محمد ديب (الجزائر): ألف مرحى لمتسولة (مسرحية)، ترجمة جروة علاوة وهبي، عمّان، 2007.

.34عبد الله مليطان (ليبيا): فلسطين في القلب (قصائد الشعراء الليبيين عن مأساة ومقاومة الشعب الفلسطيني)، طرابلس، ليبيا، 2008.

.35عبد الرحيم محمود (فلسطين): الأعمال الكاملة (جمع وتحقيق وتقديم)، ط1، عام 1988، ط3، عمّان، عام 2009.

.36عبد الجليل الأزدي (المغرب): أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، المغرب، 2009.

.37وائل الفاعوري (الأردن): ماء الذهب (دراسة في علم الأنساب)، عمّان، 2012.

.38محمد سعيد مضية (فلسطين): هيكل الأبارتايد: أعمدة سرابية، سقوف نووية (دراسة)، رام الله، 2012.

.39المهدي عثمان (تونس): قصيدة النثر التونسية، (دراسة)، تونس، 2012.

.40خليل قنصل (الأردن): ديوان سالم القنصل (باللهجة الأردنية) عمّان، 2012.

.41روان السمان (سوريا): أحوال الياسمين -شعر -عمان 2013. 42.هارون هاشم رشيد: إبحار بلا شطآن -الجزء الثاني -عمان 2013. 43.هارون هاشم رشيد :حجارة السجيل -مجموعة شعلرية -عمان 2014.

جوائز، وأوسمة

.1جائزة (المركز الأول في الشعر)، في الجامعات المصرية، الجهة المانحة: رئاسة جامعة القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، 1968.

).2وسام القدس)، الجهة المانحة: اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، 1993.

).3جائزة غالب هلسا للإبداع الثقافي)، الجهة المانحة: رابطة الكتاب الأردنيين، عمّان، الأردن، 1994.

).4جائزة الدولة التقديرية، في الآداب، (حقل الشعر)، الجهة المانحة: وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 1995.

).5جائزة سيف كنعان)، الجهة المانحة: حركة فتح الفلسطينية، 1998.

.6جائزة (التفوق الأكاديمي، والتميُّز في التدريس)، الجهة المانحة: جامعة فيلادلفيا، 2005.

.7جائزة (الباحث المتميز في العلوم الإنسانية)، عن كتابه: (علم التناصّ، والتلاصّ) الجهة المانحة: وزارة التعليم العالي الأردنية، 2008.

.8جائزة القدس، الجهة المانحة، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، القاهرة - يوليو 2011.

مؤتمرات ومحاضرات

.1تحليل سردي لِـ: (قصة إنسان حقيقي) لبوريس بوليفوي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي)، بتاريخ (1972/6/20)، عمّان.

.2تحليل سردي لِـ: (قصة الأصدقاء الثلاثة) لمكسيم غوركي، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ (1972/9/26).

.3الواقعية الخضراء: (محاولة في نقد الواقعية الاشتراكية)، محاضرة في (المركز الثقافي السوفياتي) بعمّان، بتاريخ، (1972/11/28).

).4باللغة الإنجليزية)، محاضرة بعنوان: (الأدب والسينما)، بالاشتراك مع الكاتب الروسي قسطنطين سيمينوف، والمخرج السينمائي الكوبي سنتياغو الفاريز، في (مهرجان لايبزج السينمائي الدولي)، ألمانيا، 1974.

).5سينما الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (مهرجان طشقند السينمائي الدولي)، أوزبكستان، (باللغة الإنجليزية)، 1976.

).6الفن التشكيلي الفلسطيني في النصف الأول من القرن العشرين)، محاضرة ألقيت في (براغ)، تشيكوسلوفاكيا، آذار 1977.

).7الموسيقا الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في (سراييفو)، البوسنة، يوغوسلافيا، 1977.

).8الثقافة الشعبية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في صوفيا، بلغاريا، 1977.

).9الشعر الفلسطيني الحديث)، محاضرة ألقيت في بودابست، هنغاريا، 1977.

).10الرواية الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في بيلغراد، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).11الثقافة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في سكوبيا، يوغوسلافيا، نيسان 1977.

).12صحافة الثورة الفلسطينية)، محاضرة ألقيت في زاغرب، يوغوسلافيا، 1977.

).13زمن جمال عبد الناصر: ما له، وما عليه)، محاضرة ألقيت في (المركز الثقافي)، لحركة الناصريين المستقلين، (المرابطون)، بيروت، أيلول، 1978.

).14عشرات المحاضرات الثقافية)، ألقيت في (صوفيا، العاصمة البلغارية) في الفترة (1977-1981).

.15محاضرة في (مؤتمر التعريب)، جامعة قسنطينة، الجزائر، مارس 1983.

).16صورة اليهودي في الشعر الفلسطيني المعاصر)، في (المؤتمر الدولي الأول للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، أيار (مايو)، 1983.

).17الشعر والحداثة)، محاضرة في (مهرجان قرطاج الدولي)، تونس، صيف 1983.

).18ولادة القصيدة: قراءة سايكولوجية)، جامعة قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1983.

).19بيان الأدب المقارن: إشكالات الحدود)، محاضرة ألقيت في (المؤتمر الدولي الثاني للأدب المقارن)، جامعة عنّابة، الجزائر، جويليه، 1984.

).20جدلية الحبر والدم: مأساة واو العطف)، محاضرة في (ملتقى الأدب والثورة)، سكيكدا، الجزائر، أكتوبر 1984.

).21حضارة أريحا: نحن عربٌ كنعانيون)، محاضرة ألقيت في (برلين، ألمانيا)، 1984.

).22الثقافة الوطنية الفلسطينية: نصٌ مفتوح على العالم)، محاضرة ألقيت في (قاعة ليسنغ)، جامعة فرانكفورت، 1985.

).23المستشرقون، وفلسطين)، محاضرة ألقيت في (نادي الصحافة الدولي)، في مدينة (بون)، ألمانيا، 1985.

.24محاضرة بعنوان: (شعرية المقاومة)، في (المؤتمر الحادي عشر للجمعية العالمية للأدب المقارن)، جامعة الصوربون، باريس، 1985.

.25محاضرة بعنوان: (السينما، وإعادة إنتاج الواقع)، في (مؤتمر بانوراما السينما الدولي)، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 1985.

.26محاضرة بعنوان: (النص الأدبي، والتاريخ) في (ملتقى التاريخ، قالمة، الجزائر، 1986/5/2).

27.محاضرة بعنوان: (أثر فوكنر في رواية نجمة لكاتب ياسين)، في مؤتمر الرواية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1986/5/3.

28.محاضرة بعنوان: (عبد الحميد بن باديس، وقضية فلسطين)، في ملتقى ابن باديس الأول، جامعة قسنطينة، 1986/5/3.

29.محاضرة بعنوان: (التلذّذ بالتبعية، والإحساس بالعالم) في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة دمشق، 1986/7/4.

30.محاضرة بعنوان: (التناصّ، والتلاصّ: منهجية جديدة للأدب المقارن)، في المؤتمر الثالث للرابطة العربية للأدب المقارن، جامعة مراكش، أكتوبر، 1989.

31.محاضرة بعنوان: (شعرية الأمكنة)، في المؤتمر التأسيسي لجمعية الجاحظية الثقافية، الجزائر العاصمة، 1989/11/20.

32.محاضرة بعنوان: (تحديث الحداثة: شاعرية النصوص، وشعرية الرغبات النقدية)، مهرجان أصيلة الثقافي، المغرب، 1990/8/5.

33.محاضرة بعنوان: (ذكرياتي مع تيسير سبول: دمٌ على رغيف الجنوبي)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، أيار، 1992.

34.محاضرة بعنوان: (الشعر والإديولوجيات)، جامعة عمّان الأهلية، 1993/10/27.

35.محاضرة بعنوان: (مجلة الآداب البيروتية، 1953: التأسيس والحداثة)، في ملتقى تكريم مجلة الآداب، عمّان، 1994/7/30.

36.محاضرة بعنوان (معين بسيسو: ماياكوفسكي فلسطين)، مؤسسة شومان، عمّان، 1995.

37.محاضرة بعنوان: (ماهية الشعر، ومعنى الحداثة)، في مهرجان تطاوين، تونس، 1996/3/27.

38.محاضرة بعنوان: (إميل حبيبي بين أنصاره وخصومه)، غاليري الفينيق، عمّان، 1996/5/18.

39.محاضرة بعنوان: (التفاعل مع آداب العالم)، في مؤتمر التفاعل الثقافي، جامعة فيلادلفيا، 1996/5/20.

40.محاضرة بعنوان: (جدلية المكان والتاريخ في القصيدة)، مديرية ثقافة مدينة (مادبا)، الأردن، 1996/5/27.

41.محاضرة بعنوان: (حاييم وايزمان: كان يريد مراعي مؤاب، وسهول القمح في حوران)، جمعية يافا، عمّان، أكتوبر 1997.

42.محاضرة بعنوان: (جفرا الفلسطينية، وحيزية الجزائرية)، في مؤتمر (نساء ونصوص في الفضاء المغاربي)، قسم اللغة الفرنسية، جامعة قسنطينة، الجزائر، أيار (مايو)، 2000.

.43محاضرة بعنوان: (الثقافة الفلسطينية: من ثقافة المقاومة، إلى ثقافة أوسلو)، (باللغة الإنجليزية)، مونتريال، كندا، 2000.

.44محاضرة بعنوان: (الشاعر المستقل: خائفاً، ومخيفاً: المنع يُولِّد سحر المنع)، في (مؤتمر الحرية والإبداع)، جامعة فيلادلفيا، عمّان، 2001/5/15.

.45محاضرة بعنوان: (غسّان كنفاني: الهوية، والعالمية)، بدعوة من حزب الوحدة الشعبية الأردني، عمّان، 2002/7/10.

.46محاضرة بعنوان: (تقنيات السرد الشعري)، الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، 2003/5/28.

.47محاضرة بعنوان: (المثقفون العرب والسلطة)، مجمع النقابات المهنية، عمّان، 2004/1/11.

.48محاضرة بعنوان: (التعددية اللغوية: إشكالات وحلول)، في ملتقى (اللغة العربية والهوية القومية)، جامعة (البترا)، عمّان، 2005/3/23.

.49محاضرة بعنوان: (الحداثة وما بعد الحداثة)، المدارس العربية النموذجية، عمّان، 2006/4/29.

.50محاضرة بعنوان: (جاذبية التلقي)، في مهرجان الزيتونة الدولي، سوسة، القلعة الكبرى، تونس، 2006/12/12.

.51محاضرة بعنوان: (العالمية تبدأ من شعر الهوية، وليس العكس)، في ملتقى القاهرة الشعري الدولي الأول، (9-2007/12/14).

.52محاضرة بعنوان: (القدس الكنعانية)، ندوة القدس، جامعة فيلادلفيا، 2009/10/20.

.53محاضرة بعنوان: (جدلية الفصيح واللهجي في الخطاب الشعري)، في الأسبوع العلمي لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، نيسان، 2010.

.54محاضرة بعنوان: (إشكالات الشاعر ناقداً، والناقد شاعراً)، في مؤتمر النقد الأدبي الثاني، القاهرة، 15-2010/6/17.

.55محاضرة بعنوان: (مَنْ قتل الفنان العالمي الفلسطيني ناجي العلي، ومَنْ حرّض على القتل!!)، منتدى الفكر الديمقراطي، عمّان، 2010/7/22.

عن موسوعة ويكيبيديا من إقتراح الشاعرعزالدين المناصرة




الفهرست

المجموعة الأولى:

(يا عنب الخليل) – 1968:

المجموعة الثانية:

(الخروج من البحر الميت) - 1969

المجموعة الثالثة:

(مذكرات البحر الميت) – 1969

المجموعة الرابعة:

(قمر جرش كان حزيناً)- 1974

المجموعة الخامسة:

(بالأخضر كفّنّاه)- 1976

المجموعة السادسة:

(جـفـرا)- 1981

المجموعة السابعة:

(كـنـعـانـيـاذا)- 1983

المجموعة الثامنة:

لاأ... حيزيَّة - 1990

المجموعة التاسعة:

(رعويات كنعانية)- 1992

المجموعة العاشرة:

(لا أثق بطائر الوقواق)- 2000

المجموعة الحادية عشرة:

(لا سقف للسماء)- 2009

قِفا... نبكِ



يا ساكناً سِقْط اللّوى
قد ضاعِ رَسْمُ المنـزل
بين الدَّخول فحَوْمَل.

مقيمٌ هنا أشربُ الخمر في حانةٍ
قرب (رأس المُجَيْمر) ... كلَّ مساءْ
هنا ينعَب البومُ في سقفها،
تستريحُ ثعالبُها من ثُمول الرخاء
هنا حيث نأوي مع الليل،
لو يسمعُ الرملُ وقعَ خُطى النُّدَماءْ
نجومُ السماءِ تُراقبنا في السماءْ
ملأنا جدار الصحاري ضجيجاً لنادلةٍ،
وزّعتْ بعض آهاتها للسيوف التي صدئتْ في (قِباءْ)
ملأنا كؤوس الصفاءْ

لنادلةٍ بعثرتْ رقصَ أجزائها
في ارتعاش سكون الخلاءْ
فكيف ستصمُتُ غزلانُ (وَجْرَةَ)،
إن سمعتْنا مع الكاس نهذي،
لنشوي على التلّ أضلاعها وتلافيفها والصدورْ
على التلّ يعلو دخانُ النذورْ.
مقيمٌ هنا في انتظارك في غابةٍ من سماء الغدير
قليلٌ من العشبِ، تأتي إليك مع الحَدْسِ غزلانُ وَجْرةْ
وحتى تُدَقَّ المساميرُ في النعش،
لا تزعجوا الشعراءْ
دعوني على زقِّ خمر، أنامُ وخلّوا يدي تحمل الكاسَ،
حتى تُطاولَ رأس المجرّةْ
ولا تطلبوا الثأر يا آل حُجْرِ ... فإنّي

قتيلُ العذارى وكأسٍ من الراح،
لم أدخل الحرب مَرَّةْ!!!

لو كان يسأل ما الدَّوا
من خمرتي ... داويتُهُ.
يا ساكناً سِقْطَ اللّوى
قربَ اليمامةِ بيتُهُ.
الخيرُ ينتظمُ البلاد: (بلاد كنعان) السخيّة
من بَعْدِ أعوامٍ عِجافْ
عادتْ إليك مزارعُ التفّاح من فرح صبيّة
كانت على النبع الذي أحببتَهُ،
بعُصارةِ الحنّاءِ تصبغُ وجهَها ... تُسقى السُلافْ
وتنام حتى تحرق الشمسُ الصباحية
خَدَّ البُنيَّة.
تبكي على خلٍّ مضى،
نسيتُهُ ، فاختطفتهُ منها النائحات
يا حلوتي: جسدٌ ... وفات
فوق الأكفِّ وفي النعوش العابرات
فلتعبري نحو ابتهاجات الحياة.
يا ساكناً جبل الخليلْ
جَهِّزْ سلاحكَ من عَلِ
وامددْ ذراعكَ للجليلْ
يشتاقُ قلبُ الكرملِ
وبكيت فوق الجسر بين القدس، فالوادي السحيقْ
وصرختُ من يأسي، ومن طول السفرْ
لو مات فارسك المجيد ومات ناطور الشجر
فادفِنْ عظامي، يا حبيبي، تحت كرمتنا، على الجبل العتيقْ
تتعتَّقُ الأيامُ والأعوامْ
ويسحّ في الشام المطر
تنمو، وتخضرُّ العظامْ
فادفِنْ عظامي ... وانتظرْ
يوماً من الوادي، شُروقي
إنّي لأخشى الموت في المنفى ... فمَنْ
يروي عُروقي؟!
لو كان مَشْدودَ الفؤاد لما انكسر
لو كان يهذي للرياح
لو كان رَفْرافَ الجناح
لو كان كأسك فيه وعدٌ أوْ غيومْ
واجِهْ رمالَ العاصفة
يا أيها المطرودْ
احذرْ غيومَ الخمر يا هذا
ومَسْعاكَ القديمْ.

أتاني، أتاني، أتاني
وَحقٍّ يغوثَ، أتاني
وخبأتِ عنّي طويلاً ... وما خبَّأ الأصدقاء
أيا حُجْرُ ... واخَجَلي منك، واخجلي،
حين جاء النبأ
قضيتُ الليالي،
أفرّق بين الصواب ... وبين الخطأ
ولا زادَ في جَعْبَتي
غيرُ ما صنعتْهُ يدي الآثمهْ
وما أرسَلَتْهُ مع الفجرِ لي فاطمة
تقول: انتصرْ لأبيكَ، انتصرْ لأبيكْ.
سأشربُ حتّى ولو كانت الكأسُ مُرَّةْ
فمن أجل غزلان وَجْرَةْ
غداً أدخل الحرب أوَّلَ مَرَّةْ
رحلتَ وحمَّلتَني عبء هذا النبأ.
رحلتَ وحمَّلتني عبءَ هذا الفراقْ
رَحَلْتَ وحمَّلتَني عبءَ أرضٍ تريدُ العناقْ
رحلتَ وحمَّلتَني يا أبي ما يُطاقْ،
وما لا يُطاقْ !!!
الرومُ لا يأتونْ
إلاّ إذا ظلّوا
كالرمل كالطاعونْ
في العشب قد حلّوا
هل جاء مُحْتَلٌّ
كي يمنح الليمونْ
لشاعرٍ مطعونْ
أصحابه ملّوا
والروم لا يأتون
إلاّ إذا ظلّوا.

ضاع مُلكي
في ذُرى رأس المُجَيمِرْ
ضاع مُلْكي، وأنا في بلاد الروم،
أهذي، ثُمَّ أمشي، أتدعثرْ
مَنْ تُرى منكمْ يُغيثُ الملكَ الضِلّيلَ،
يا صخر يَغوثْ
أرسل الجَمْرَ لكوخ الندماء
ضيَّعوني ... ومضوا في دربهمْ
يشربون الخمر في هذا المساءْ
قرب غنْجات الإماءْ .

ضاع مُلْكي

أكلتني الغربةُ السوداء، يا قبْرَ عَسيبْ
جارتي، إنّا غريبان بوادي الغرباء
نبعثُ الشعر ونحمي (أنْقِرَةْ)
أيها الوادي الخصيبْ
ربّما مرَّتْ على القبر هنا يوماً حمامة
يا حماماتِ السهوب
أبلغي عنّي التحية
قبل موتي، للحبيبْ
دارهُ السمراءُ شرقيَّ اليمامة.
رغم موتي سأغنيك إلى يوم القيامة
مُشْرِعاً صوتي وسيفي
ورصاصَ الفقراء الرائعينْ
في وجوه الطامعينْ.

يا أيُّها المهزومْ
يا سيِّدَ الشِعْر
قُلنا: ... تخونُ الرومْ
في ثوبك المسمومْ
وأنت لا تدري
وربّما تدري.

في الرد على الأحبة

("لو أنَّ الفتى حَجرٌ ..." – تميم بن مقبل)

1. لو أنني حجرٌ:

لو أنني قمرٌ في الشام مرتحلٌ،
لو أنني قمرُ
لو أنني حجرٌ في الشام منغرسٌ،
لو أنني جبلٌ،
تشتاقهُ الأنواءُ والأمواجُ والسُّفُنُ
لكنَّني في بلاد الروم مُنْزَرِعٌ
أبكي على وطنٍ، قد خانه الوطنُ.

2. حقل الفيروز:

يا حقل الفيروز
يا مطر التمّوز
هل أنت تريدينْ
أن نبقى في الصينْ
نحن المنفيين !!!
يا حقل المرجان
يا شفة الإنسان
يا جذري المغروز

في بادية الشام
يا شجر النيروز
هل أنت تريدين
أن نبقى في الصين
نحن المنفيين !!!

3. نقوش كنعانية:
شجرُ الحور بكى حين رآني
كنتُ قد لملمتُ أشيائي،
وأعددتُ الحقائبْ
وتركتُ الدار تنعى من بناها
ورأيت الحزن في صمت الخرائبْ
يلعب الديك عليها،
ويصيح الشجر الملتَفُّ في الليل الصموتْ
يسأل الأطلال عن آثار جدّي
تحتها كلُّ شهادات الثبوتْ
نَقشوها في صخورِ غمرتها الريحُ،
في صُلْب الترائب.

4. شامات:
عند باب القدس، ماتت جدّتي
وهي تحكي لشجيراتِ العنبْ
عن زمانٍ سوف يأتي
وعلى خدّيه شاماتُ الغضب.

5. بعدها:
بعدها ... ذات صباح ستمرّون على
بعض قبور الراحلينْ
تقطفون الزنبق البريّ والنعمانَ ، مصبوغَ الشفاه
وتُصلّون صلاة الأنبياء
وتغنّون أغاني الشهداء
وأناشيدَ وشعراً ... لم تَقُلْهُ الشعراء !!!

هايكو - تانكا

هايكو :
يا باب ديرنا السميكْ
الهاربون خلف صخرك السميكْ
افتحْ لنا نافذةً في الروح.
تانكا :
أجاب شيخٌ يحمل الفانوس في يديهْ
يوزع الشَمْعاتْ
على نِثار دمنا المَسْفوكْ

وحين سلّمنا عليهْ
بكى ... واصفرَّ لونُهُ ... وماتْ.

زرقاء اليمامة



تتدلّى أشجارُ التين على الحيطان الشرقية
نتلقى الدرس الثاني،
تحت الشمس الصاحية النيسانيَّة
نكْبرُ، نهجر ساحة شيخ الحانوتْ
نحلم بالشرنقة المنسوجة من أوراق التوتْ
لكنْ يا جفرا الكنعانية
قلتِ لنا إنّ الأشجار تسيرُ على الطرقاتِ،
كجيشٍ مُحتشدٍ تحت الأمطارْ
أقرأ أشجاري، سطراً سطراً، رغم التموية
لكنْ يا زرقاء العينين ويا نجمة عتمتنا الحمراءْ
كنا نلهث في صحراء التيهْ
كيتامى منكسرين على مائدة الأعمامْ
ولهذا ما صدَّقكِ سوايْ:
- تخبأتُ في عُبّ داليةٍ، ثم شاهدتُ من فتحة ضيقة
سكاكينهمْ ... والظلال
ثم شاهدتُ مجزرةً لُطّختْ بالرمالْ
وشاهدتُ ما لا يقال
- كان الجيشُ السفّاحُ مع الفجرْ
ينحر سكانَ القريةِ في عيد النحرْ
يُلقي تفّاح الأرحام بقاع البئرْ.
رقّتْ عيني اليُسرى ... شبّتْ نارْ
ورأيتك في الصورةِ تحت التوتةِ في قلع الدارْ
إلفُكِ مدَّ جناحيه، توارى، غابْ
ينقش أشعار الحزن على تفّاحة
يأتي العفن المزمن يا زرقاء
يمحو من ذاكرتي صُوَرَ الأحباب.

- في اليوم التالي يا زرقاء
قلعوا عين الزرقاء الفلاّحة

في اليوم التالي يا زرقاء
خلعوا التينَ الأخضرَ مِنْ قلبِ الساحة
في اليوم التالي يا زرقاء.

ومرَّ الليلُ، مرَّ الليلُ يا زرقاءُ،
كنَّا نرقبُ الأسحارْ
نصوغ قصائدَ العنبِ المُعرّشِ في روابينا
ونكتبُ أصدق الأشعارْ
ونزرع في رفوف الدارْ
فسيلاتٍ ، تَمُدُّ العُنْقَ،
تحضنُها سواقينا
نَبُلُّ الريقَ، يُطفي بعضُنا جوعَهْ
ولكنّا،
ولكنّا،
نسينا أن عين الحلوة الزرقاء مخلوعة
وأن الراية الأولى على الحيطان ممنوعة !!!
وأن الراية الأخرى على الأسوار مرفوعة !!!

وداع غرناطة

ابْكِ مثل النساءْ
النساءُ تركن البكاءْ
ابكِ قرب الخليلْ
أيّها الهاربُ الذليلْ:

- أهجنا الدموع غِزاراً،
على مَفْرِقِ الدربِ، عند الوداعْ
وجفَّ حليبُ النساء
وبعضُ الرجالِ بلا قدَمٍ أو ذراعْ.
البلاد التي غابَ عنها الدليلْ:
البلادُ التي أصبحتْ لبني قيْنُقاعْ
ورثتَ البلاد، التي كان ليمونُها من حليب السماء:
برتقال الجميلةِ، رُمَّانُ حيفا، سيوفُ القطاع
كرمة تتدرَّجُ عبر سُهولِ البقاع
إذَنْ: من يسامحني في منافي القِفَارْ
إذنْ: من يودعني أو يرافقني في القطار.
الدجاج الذي بين نار ... ونورْ
صار يرعى الفِتَنْ
في حنايا القبورْ
القبائلُ صارتْ ترى تحت أقدامها،
عَلَفاً ... وبذورْ
القبائلُ صارتْ فروعاً تقاتلُ أغصانها ... والجذورْ.
إذنْ: ما الذي يجعل الورد في صمته المندثرْ

فرحاً في بياض الكَفَنْ
ابكِ مثل القبائل، شقشقة الصمتِ بين تلاع المطر
ابكِ مثل النساء قُصورَ الوَطَنْ
النساءُ تركن البكاء
ألم تشهد المذبحة ؟!!
لقمةُ الخبز مسمومةٌ جارحة
ألم تلمح الغدر يجري كنهر تدفقَ في المنحدرْ
ألم تشهدِ الشمسَ، مجروحة ، ليلة البارحة.
برتقال المطر
شَقَّحوهُ بسيفٍ، فصرنا يتامى الحليب
وطالت شُعورُ الصبايا،
لَبِسنَ الحدادْ
قضين الشهور بلا زينةٍ، دون زادْ
حَمَلْنَ التشوُّقَ بين الضلوع، انتظرن المَعادْ
أدَرْنَ الخباء إلى الخلفِ، أغلقنَ بابَ الرجوعْ.
أيا طفلة النافذةْ
أيا طفلة القصر، هيّا افتحي:
فحمحمةُ الخيل سوف تهيجكِ،
هيَّا افتحي
تُباهين بالكُحل في جفنك الجارح
ونحن نُباهي بأسيافنا المَشْرفيَّةِ، لكنّها من خَشَبْ
الكلامُ خُطَبْ
الهواءُ خَشَبْ
الطعام خَشَبْ
القلوبُ سماءٌ ترفرفُ، هيّا افتحي.
* * *
- (المهاجرون واضحون في خيامهم
غربتهم خشب
الأنصار يتقلّبون من نشوة في دخان الشواء
المهاجرون يتامى
الأنصار يتقلبون في أسرّة الشوك والزنْكِ والقصديرْ
الكلامُ حريرُ التلفزيون
الفعل لافتاتٌ، ودمٌ سريّ في الأقبية.
يا موسى بن أبي الغسان
يا غلطة الوداع يا شجرة الشقاق)[1]
* * *
- ابكِ مثل النساء
النساء تركن البكاء
النساءُ تركن البكاء.
جفرا في سهل مَجدُّو

---

1. مقطع نثري .

سأفكفكُ أزْرار قميصِ الوردةِ سرّاً في الليلْ
فمُها كالسمكةِ، وردةُ هذا الليل
قال الحطّابُ القرْفانُ المرميُّ بغابتهِ السمراء:
يا هذا لا تستعجلْ
في الليل ورودٌ تَخْجلْ
فتوشوشُ في الفجر شقيقتَها بكلامٍ عيبْ
وهناك ورودٌ تَسْتَلُّ مخالبَها، لا تخجلْ
تغتصبُ الزنبقَ في الوادي،
تحصدهُ بالشفرةِ والسيفِ، وبالمنجلْ
كم واعدتُ الوردةَ في الليل على سطح الليلْ
كم كَذَبَتْ كالأسنانِ البيضاء الضاحكةِ بصدغيها
كم خِفْتُ عليها
وأنا في غابةِ أشواك الصبر الأخضرْ
أتقلّى من غضبٍ كالماء الفائر في المرْجَلْ
تأتي، قد لا تأتي
مطلوبٌ مني أن أتجمَّلْ
تأتي، قد لا تأتي
مطلوبٌ منّي ألاّ أسألْ
سأنتّفُ أوراقَ الوردةِ حتى تأتيني الوردة
سأفتّتُ هذا الحجرَ بكفيَّ مخدَّةْ
أشرب كأس عصيرٍ من جَعْدَةْ
أشرب وقع مسافات الساقين المرمر
في قاع محطّات الزمن الأصفر
أشرب زمناً ممدوداً ... وبطيئاً،
في منعرجات الدَفْتَرْ.
سأحبكِ،
هذا درب الليمون الفضّيْ
يتلألأ بعد المطر الصيفي.
سأحبك،
هذا قلبي منثورٌ فوق الطرقات العرجاءْ
هذا عودي،
سأدندن أنشودة سهل مَجِدّو،
عودي،
هذا عودي الأخضر فوق شفاه الكنعانياتْ
هذا دربُ البرقوق على خارطةٍ مهترئة
هذا مَفْرقُ مَعْصرة الزيتون
هذا أثر الثعلب في حقل القثّاء.
سأبوسُكِ، بَسْ تيجي ، يا عمّتنا النخلة.
في سهل البطيخ الأشقر
مَرْمَغْتُكِ بالرمل الأحمرْ
غمَّستُكِ بالزيت وخبز الطابون

نَظّفْتُكِ بالصابون وملح الليمونْ
فَرْفكتُكِ في عتم الزمن الكُحليْ
وسألقاك بدون السينات البدوية
ثُمَّ أشمُّ مواويلكِ عن بُعدٍ، ألقاكِ،
ولو رفرفت الغربانْ
ألقاكِ غريقاً ، يتعلق في البحر الأسود ،
أخشاباً من غابة كنعان.
سأخربشُ خجلي في هيئة أفعى
أرسمُ سَاقيْها كالجدولْ
أرسم ماءً يتدفق بين الخطين المصقولينْ.
أرسم طيراً أخضرَ في أطراف مغارات الغابة
أرسم زهراتِ القندولِ على الصقّينْ.
أرسم زنبقةً ووعولاً ، تتراكض في الليل البُنّيْ
في سهل العنب الدابوقيْ
أرسم طاقيَّة إخفاءٍ لأزوركِ ،
ثم أكحّلُ جفنيكِ ... بلونينْ
وأوزّعُ قافيتي وخيولي بين مَجدّو ... وَمَجدّو.
في سهل مجدّو يرتفع العَلَمُ الكنعانيْ:
الأخضرُ زرعي ، داسوه بجرّافاتْ
الأحمرُ، قُرباناً، أهديهِ إلى الإيلْ
كبشيْ، أطلقهُ من أجل مناماتْ
الأبيضُ حقلُ الملح، شربناهُ على المُنعرجاتْ
الأسود قهرٌ في أضلعنا من زمنٍ فاتْ.
إنْ جاءت جفرا في موعدها،
أرسم نافذةً، وعلى الإفريز حمامة
لاحقها صقرٌ كقذيفة نارْ
أرسم فوق العشب مُسدَّسَها
وإذا غابتْ، أرسمُها كزجاجٍ مكسورٍ في المرآة
أمطرُها برزيل الكلمات
أرسمها تسعى، كالأفعى، أشويها
ألقيها كالوردةِ في العارْ.
حين تَساقط فوق سوالفِ أشجار الزينة
مطرٌ ورذاذٌ من شبق الحبِّ الأخضر،
أصبحتُ رهينة.
كان هدير الصوت على الإسفلتْ
أخبرني عصفورٌ دُوريٌّ مَرَّ على مقهى الشجرةْ
أسمع همهمةً وعويلاً في الخطوات البريَّة
من خلفي هبطتْ فوق العينين أصابعُها
قمتُ تحسستُ طراوتها في الصمتْ.
أعطتني أسئلةً ورموزاً وإشاراتْ
ألقيتُ مسدَّس خوفي في الوادي
فكفكتُ الأسرار الوردية في الليلْ

فكفكتُ قميص الوردة.
- كانت جفرا أنقى من ثلج السهل،
تُسندني بأصابعها، تحميني.
النهر الدمويُّ وحيداً،
كان يُراقبُنا في الليل المجهولْ
مَغْيوظاً منّي ... كعذولْ.
غَزَلٌ إلى نخلة الملح

حَرامٌ عليكِ، حرامٌ، حرامْ
أيا فتنة الصُبْح تسري، ونحن قيامْ
على الطرقات، جموعٌ من الهائمينَ،
يقولون: مرّت كنخلة بير السباعْ
فقلت لها: يا فتاتي،
تبارك هذا القوامْ
عيونكِ من سهرٍ لا تنامْ
وزنّاركِ الشفقيّ حريرُ الشآم
على خصركِ السيفُ والنقشُ في الصدر،
هذا حرام!!
وتَشْوينَنا مثل بلّوطةٍ في رماد الشتاء
وتكويننا في الجذور، القلوبِ، العظامْ
هتفتُ مع الهاتفين: حرامٌ عليكِ،
حرامٌ عليكِ، حرامٌ، حرامْ
بياضُكِ ملحٌ من القاع بين السطور
وطعمُ شفاهك مثل رحيق الختام.
وقيل لنا: إنما أنتِ من فتنة الأرجوانْ.
سأروي الحكاية من أول الساق،
من زبدة الرُكبتينْ
ومن غضب القاع،
زلزالهُ قسَّم الدولتينْ
أيا امرأةً جُبلتْ من عناصر أخطائنا الشائعة
ومن حقل راعوثَ تلتقطُ القمحَ،
بعد مواسمنا الرائجة
ألستِ البياضَ الذي أدهش الشعراء!!
ألستِ الزراعة في تلّةٍ قرب حقل الرعاةِ!!
ألست النقاء!!
وما زلتِ مالحة مثل جبنةِ أغنامنا – الطازجة.
سأروي الحكاية من سِدْرةِ المُبتدا
أسجّلها فوق هذا الورقْ:
أراكِ عموداً من الملح في الحلم قبل الغسقْ
كما نخلة الملح لم تستطعْ أنْ تُقاومَ زلْزَلَة الراسياتْ
دُخانٌ يعمُّ القُرى، في تعاريجه جمرةٌ من لهيب الشَفَقْ
أراكِ مع الفجر أسطورةً في خيال الغيوم

كغيمة قطنٍ نداهُ يُعاشقُ ديرَ التلال
ألم تلحظي وقفتي في حُدودٍ، مبللّةٍ بالدموعْ
أنادي بأعلى عذابي: اصبروا
صابروا فوق أخشابكم ... كيسوع
وكنتِ دخانَ القُرى والصباحاتِ،
حين بناتُ المدارس بالأخضر الدمويّ،
المخطّط مثل مرايليهنّ، تلوحُ خطوط الأُفقْ.
نعم كنتِ يوماً كتفاحة في الصباح
نعم كنتِ في زمن البحر، طاهرةً في عيون الملاحْ
لماذا إذا غضب القاعُ صرتِ عموداً من الملح،
في التلّةِ الموحشةِ
يزورك أمثالنا خِفْيةً عن عيون العَسَسْ
نشمُّك مثل الخطيئة، ثم نداعب أغصانكِ العالية
كأنك مثل البلابل مسجونة في قفصْ
تُطلُّ على مُدُنٍ في السحابْ
كأنك ملعونة في خطوط الكتاب.
تعالوا
تعالوا نعيد قراءة أشعارها،
قبل أن تغضب الأرضُ ثانية في الربيعْ
تعالوا نَفُكُّ رموز التفاتتها المدهشة
وماذا إذا كانت امرأة فاتنة
وماذا إذا التفتتْ، صُدْفة، أو تعمَّدتِ الإلتفاتْ.
إلى كُحل زينتها، وهو يغرق في البحر عند المساء
إلى رغوة الذكريات
وماذا إذا كان صاحبنا عاجزاً كالوعودْ
يغار من الوردة الناشفة
ولم يستطع أن يُروِّضَ هذي الرعودْ
ولم يستطع أن يُدجّن مهرته في الظلام
ولم يتّعظ، فادّعى أنه هاربٌ من خطايا ثمودْ
سؤال بسيطٌ، فأين الجواب؟!!
ولكنّني قرب هذا المساء
وقفتُ على تلّة الأسئلة
لأنثر – يا جارتا – حفنة من رمادكِ،
فوق تلال الغرام
لعلّك تأتين – لو مرةً – في المنام!!
لعلك تأتين – لو صُدْفة – في المنام!!!

غــزال زراعــي

أنتِ القنديلُ يضيء العتماتْ
أنتِ النجمةُ والصاري ومنارةُ بحر الظُلُماتْ
أنتِ النخلُ الأخضرُ والعرجونُ الأصفرُ،
في قفْرِ مفازاتْ

أنتِ رذاذ الغاباتْ
أنتِ المُهْرُ الظمآنْ
أنتِ هديلُ حماماتْ
أنتِ الرغوةُ إنْ غضب البحرْ
أنتِ الأصدافُ المشبعةُ الملْساءْ
أنتِ الخُضْرةُ والماء
أنتِ النّار لتطهير جروحي (في عزّ الظُهْرْ)
أنتِ البحر ولونُ البحر وقاعُ البحرْ
أنتِ الفِتْنةُ في عشب الشطآنْ
أنتِ صلاةُ الأحباب إذا جفّتْ أمطار الوديان.

- أتمضمضُ بعض حليبكِ،
بعد شروقي، أو قبل غُروبي
نهداك سفرجلتانْ
عنبٌ دابوقيٌّ يتشعبطُ أكوازَ الرمّانْ.
- قالت: لكنْ يا هذا،
هذا عنبٌ منذورٌ لحبيبي
ومضت تتمنجقُ في حقل الزيتونْ.
جفرا يا جفرا يا جفرا
أنتِ الفتنةُ، أنتِ الشيطانْ
يا جفرا أنتِ سحابةُ هذا الصيف الغامضْ
ثدياكِ مُرهْرطتانْ
كالمشمش حين يذوب من الصَّهْدِ الناريْ
ثدياكِ كعوّار العنب الحامضْ
الصدر نتوءٌ في جبل النسيانْ
حُصْرُمْ
حُصْرُمْ
حُصْرُمْ
ثدياكِ كما الحُصْرُمْ
وقوامكِ شجرةُ بلّوطْ
صوتكِ مبحوحُ كغراب بلديْ.
- ناداها يا شجرةَ عُلّيق برّيْ
يا مقبرةً شرقية!!!
قالت – وهو يناوشها – عن بُعْدٍ – : طُزْ
في المشمش قابلْني
حينَ يَرُطُّ الحوتُ زعانفه في البحر الميّتْ
قابلْني عند نجوم الليلْ
قابلْني حين يصير البلبلُ جِنيَّة
ويحطُّ على أغصان الليمونْ
ليغنّي للحوريّات على نبع الميَّة.
ومضت تتقصَّعُ في زَهْوٍ مجنونْ
في حقل الزّيتون

توقيمات

1. كانت جرَّتُها بين يديها، حين قلبتُ الجَرَّة
صفراء كتفّاح، بيضاء ... ومُحْمرَّة
أشهد، أنّي راودتُ البنت ... وكنتُ سفيها
قلت لها: مرّة!!
وحياتكِ: مرّة
وأموتُ سفيها
لكنْ رفضتْ بعنادٍ ... كأبيها.

2. أهدته حبيبتُهُ دَعْبوباً من خبز الطابونْ
ظلَّ يخبئه في العُبِّ شهوراً بلياليها
ظل يغنّي – حين تمرّ – لقامتها السمحاء
لضفائرها الملويّةِ كالأفعى
ظلَّ يغنّي سرخسها وسواقيها
حتى رفضته وصاحت: مجنونْ
صار رغيفُ الخبز الناشفِ في الحفرةِ زيتوناً،
يُغريني أو يُغرْيها .
ظلّ يزور الحفرة أياماً
وشهوراً ... بلياليها.
يبكيه ... ويبكيها.

3. يتعفّر عنبُ القلب صباحاً بكآبته كالعادةِ،
عند رحيل الغيمة في مرج حنينْ
يتغبّر ظُهراً شجر التين
ومساءً تندلقُ العتمةُ فوق وسادةِ تشرينْ
أسمع همهمة الرغباتْ
في عِلِيّينْ
وصهيلَ سواقيها في الحارات.
تطلبني للثأر وأنت صريع اللذَّاتْ
أسمع دمدمة تتوالى في جولاتْ
ثم تموت السيّدة الفضيّة
مثل قرنفلةٍ مَرْخيَّة
تلقاها طحالبَ مرميّة
تتلفّع بالصمت وبالزيتونْ
في أرجاء العِليَّة
- لكنْ قلْ لي يا هذا:
بعد غبار دمويّ من طينْ
كيف يكون القمر نقيّاً في تشرينْ!!!

4. خَبِّئْ أشعاركَ لليوم الفاترْ
خَبِّئْ بعض رصاصاتِكَ في الوعر البدوي

خَبّئْ قرشك للأيام الصعبة
خَبّئْ قلبك لامرأةٍ من زُوّان بلادكْ
من قال بأنك تحصد دوماً زوّانْ!!!
أغلبُ نسوان بلادي قمحٌ فتّان.
اسألْ – إن كنت تُشككني – جدّي كنعانْ
يروي أشعاراً من رمانٍ فوق سفينتهِ،
في البحر الغادرْ
خَبّئْ أفراحك للصوت الآتي
من شادر عبد القادرْ
خَبّئْ فحماتكَ لينايْر.!!!
5. كنتُ خجولا، أكرهُ قرقعة الأضواء
قالوا: يتلفّعُ بالصمت وبالحَيْرةِ
حين قهرتُ النجم الساطع في أرجاء الحِيْرة
قالوا: يتشعبط جبلاً،
من أجل مواجهةٍ،
دون ذخيرة.
قال الراوي: يا سادة هذي الأنحاء
لولا الغيرة ... لولا الغيرة
ما حبلتْ – في هذا الليل – أميرة!!!
6. دَفَنْتُهُ اليومَ صباحاً،
وضعتْ شجرَ الغار على حجر القبرْ.
ظُهْراً،
كانت تتكحّلُ،
أو في أقصى الحالات – مع الفجرْ
لعريسٍ ... واعَدَها قرب النهرْ.!!!
7. سافر عكّاويٌّ من غرفة نومهْ
فوق ظهور الخيل إلى الشُرْفَهْ
حَلَفَ بغربتهِ السوداء
وبكى: يا غرفة نومي
ما أطولَ أيّام الشُرُفَهْ
ما أبعد قلب الغرفة!!!
8. طخَّ خليليٌّ جَسَدَ البحر الهالكْ
برصاصات الغيرةْ
هل تدري: مَنْ غضبَ لذلكْ؟!!
هل تدري!!
- طبعاً: أهل الطيرةْ.
9. فجأةً، فجأةً، فجأةً ...
ظهَرتْ طائراتُ العدوِّ بحضن الجبلْ
فقال الخليلي لها ... في خَجَلْ:
يا امرأةْ
طائراتُ العدوّ ترانا
فكُفّي عن الثرثرةْ

خذي هيئة الإنبطاحْ
- فقالتْ: أما تستحي يا رَجُلْ!!!
10. السماءُ التي لا تنحني
الأرض التي لا تنكسر
البحر الذي يُغويني
هذا هو الفلسطيني
هذا هو الفلسطيني.

يا عنب الخليل



سمعتُكِ عبر ليل النَزْف أغنيةً خليليَّة
يردّدها الصغارُ وأنتِ مُرخاةُ الضفائرِ
أنتِ داميةُ الجبينْ
وَمَرْمَرَنا الزمان المرُّ يا حبّي
يعزّ عليَّ أن ألقاكِ ... مَسْبيَّة.
سمعتك عَبْر ليل الصيف أغنية خليليّة :
- خليلي أنتَ: يا عنب الخليل الحرّ ... لا تثمر
وإنْ أثمرتَ، كُن سُمًّا على الأعداء، لا تثمر!!!
* * *
عنبٌ جَنْدليٌّ وإيقاعُهُ فاعلنْ في المزادِ، وقيل: فعولنْ
لأن الخببْ
يرتوي من بحور الذهبْ.
- فيمشي الهُوينا كدحرجةٍ لقناني النبيذْ على الطاولاتْ
وفي بيتَ لحمَ التي لا تنامْ
يَحِلُّ عليه التعبْ
ينام على حجرٍ من صخبْ
لترعاه عينُ العناية في حضن بَعْلَ الذي لا ينام.
الخليل تفضّلهُ في الصباح زبيباً ودبْساً،
إذا كانَ مَلْبَنُهُ صافياً كبنات الشآم.
سُكّراً كبياض خليليةٍ مثل شمس تغار من الشمس،
كي لا تغار من الورد، من حمرة الوجنتين،
ولين القوامْ.

ونحن الأعاريب نعشقها كرمةً تتجلّى غلالاتها في المنام
نخبئها في السلاسل، بردانةً، ثم بين فروع النباتْ
نُمزمزها في الصواني،
إذا هَلَّ هذا الصقيع على الكائنات.
ونقطِفُها في ديسمبرَ،
في عيد عيسى عليه السلام، عليهِ السلام.

* * *

غريبُ الدّار يا حبّي ، غريبُ الدارْ
يَظلُّ يلوب في البلد البعيد على حدود النار.
رياحٌ قد تهبّ تُذيب أفئدةً جليديّة
وحول مقابر الموتى من الأحياء
تظلّ تحوم طول الليل، جنيَّة
تغنّى الليل، أحلام الثكالى ... والدجى المسكونْ
وتلعن من أطالوا الليل يا حبرون!!!

* * *

عنبٌ دابوقيٌ كرحيق النحل على يافطةٍ بيضاء
عنب دابوقيّ يتدلّى من عُبّ الدالية كقرط الماسْ
عنب دابوقيٌ لا يشبهه أحدٌ في الناس
عنب دابوقيٌ يصهل مثل مغنية خضراء
عنب دابوقيٌ يتمدد كامرأةٍ في شمس المسطاح.
الملبن كالزبدة كالشهوة في الخلْوة مثل ندى التين،
كحمحمة الأنثى في أطراف الكاسْ.
أثقبُ دائرة الكون إلى اللُبِّ الحسَّاسْ
أثقبُ بالإزميل الليل، ينادينى البُلبلُ من قلب الأحجارْ
ليغنّي لقبور الأجداد
عنب دابوقيّ من جبل الشيخ يناديني:
من جبل الشيخ ... أيا برَّادْ
من دمع كروم الكنعانيين، صلاة الأسياد
من لهفة جدّتنا في الصحراء على الماء
من طين الحورَ، تعصِرهُ تنتظر النبع المتدفقَ
في غربتها.
وَسأرضعُ من لَبَن الداليةِ، أحرُفَ جَدّي،
من حقل الآراميْ
وكذلكَ من حجر رخامٍ في مقلع جفرا الكنعانية
عنبٌ دابوقيّ
عنب دابوقيّ
عنب دابوقيّ.

* * *

سمعتكَ عَبر ليل الحزن أغنية خليليّة
تصيحُ طوال جمر الصيفْ:
هنا يبكون خلف السدر والزقوم.
(أبو الفقراء والأيتام) مرّ يقولْ:

هنا يستيقظ الإسفلت والزيتون
متى ترجع!!!
وهل في القبر من يسمع!!!
صراخ فؤادك المحموم
إذا الأحياءُ ماتوا في ذُرى (خِلِّ إيلْ)
قريباً، يزهر الليمونُ يا ذُرى (خِلِّ إيلْ)[1]
* * *
كان (نَعيميٌّ)، ينهر بغلته في أوَّل خيطٍ للفجر
كي لا تترضرض أثداء العنب الدابوقيْ
يشرح لي عن سلسلةٍ من نسبٍ لسلالة أجداد الكرمة
كنتُ أرافقه للسوق على ظهر الفرس الشهباء
يتغزل باللون، وبالطول، وبالطعْم، وبالأسماء
قال خليليٌّ من عصر الإحياء:
- أنت خليليّ كالعنب المُرّ المتأخر في النضج ،
الأصلب عوداً في الوعر وفي الأزماتْ
تبدأ حين القافلة الخضراء
تجأر بالشكوى في ليل حجريٍ موبوءْ
وتظل الرمحَ الضاحكَ في آخر نفسٍ للشجرةْ.

كان الوسطاءُ سماسرةً يمتصّون النَّصر كدبُّورٍ،
يمتصّون عروقي، وعروق أبي.
كان أبي يتأكد من خاتمة العنب الدابوقي
حتى لا تسرقهُ الخمَّارةْ
حتى لو خسر جهارا بغلته وحمارهْ
- الفاسدُ يا ولدي يتخثر في الجسد كجيفة
ثم يجفّفُ نبعَ القلب.
كان يُداريني حين يداهمني التعب، وكان يغطّيني
بعباءته من لسعة بردِ سُرى الليل.
عنب دابوقيّ كنعانيّ شَفَّافٌ كغلالة عذراء
كقناديل بنات النعش الفضيّ
يتدلّى فوق سحاحير الفجر ملاكاً يغرق في النومْ
عنب يتدلّى أحياناً مثل الأكفان
حين نبيعك، يمتلئ القلب بحزن أبديٍّ،
يمتلئ الجيب بخسران
فبأي طريقٍ نحميك من البهتان!!!
* * *
سمعتكِ عَبْرَ جمر الصيف أغنية خليليّة
تظل ترنُّ خلف التلّ منسية
إذا ما استنسمتْ ريحاً بوادي الجوز،
غريبَّة

---

[1] خِلِّ إيل : الاسم الكنعاني لمدينة الخليل) الفلسطيّ .

تظل تنوح ما ناح الحمام على سواقي الحب،
فوق ضفائر الزعرورْ
وفي المذياعِ، أصواتٌ، علاماتٌ أثيريّة:
- خليلي أنتَ يا عنب الخليل الحرّ لا تثمرْ
وإنْ أثمرتَ، كن سُمًّا على الأعداءِ،
لا تثمر!!

الأفعى



احذر خضراء الدِّمَنِ على مرّ الأزمانْ
احذر غضب المجروح
احذر كيد صديق يعرف شريان الروح
احذر نسوان الخان
تردُ الماء وتُصبحُ عطشانْ
القلب لغيرك مفتوحْ
- البحر المالح لا ينجب عسلاً من كنعانْ
العلقم لا يولد من قصب السُكَّرْ
البغلةُ لا تُولد مُهْراً يرعى في الهَضبَةِ
القطةُ لا تنجب أفعى
الأفعى لا تُخلي جُحْراً إلاّ بالفأسْ
الأفعى لا ترحل بالموسيقى
الأفعى لا ترحلُ
إلاّ إن قُطع الرأسْ!!!

البابُ إذا هبَّت منه الريح

البابُ إذا هبّتْ منهُ الريحْ
اخلعهُ،

لتكتشف هروبَ الحرّاسْ
ناطحْ عاصفةَ الأضواءِ،
وكرْكعة الأجراسْ
فإذا أحنيتَ العنقَ المجروحْ
قالوا أغواه اليأسْ
ولهذا ،
ناطحْ يا هذا،
ستقول الناسْ
مطعوناً ماتَ
ولكنْ
مرفوعَ الراسْ

المقهى الرمادي

عندما نأتيه نصطاد السويعات اصطيادا
عندما نسعى إليهْ
تهتف الأشواقُ في الأعماق تزداد عِنادا
أيّها السارون في منتصف اللّيل وفي أعينكمْ
ظمأ للدفء في أحضان مقهى
لتَعُبُّوا من صفاءِ الليل كأس الحزن مكروراً،
مُعادا
افتحوا ساحاتكمْ، جاء الرماديُّ الكئيبْ!!
ليس مقهى، إنما صوت الصدى في الشاطئينْ
ليس صوتاً فارعاً يمتد في نار ضلوعي،
إنما المقهى الذي زاد ولوعي
شربتْ ردهاته بحر دموعي
ذلك المقهى الذي يقبع في حضن الحُسينْ.
جئتهُ في ليلةٍ غامضةِ الأسرار كي أدفِن أحزاني،
وكي ألقي اليدينْ
فوق شاي الركبتينْ
جئته في ليلةٍ واحدةٍ يا أصدقائي،
صَدِّقوني
مرّتينْ !!!
والمغنّي
كان في المقهى يُغنّي:
(يا عزيز العين إنّي)
لتراب الشام مشتاقٌ وفي قلبي جروحْ
من تُرى منكم يبيعُ الآنَ لي
(كَبِداً دون قروحْ)
كان في المقهى يغنّي
ذلك المقهى الذي يقبع في حضن الحُسيْنْ.
ثم ماذا !!

كانت السيّدة السمراء تجلسْ
في الزوايا ترسل الضحكة للأطفال ليلاً،
ثم تهمسْ
وحواليها ثلاثٌ من بنات العائلة
تومئ النظرة بين الحين والحين إليْ
ثم تهمسْ
ثم تهمس
ما الذي تهمسه السيدةُ السمراء عنّي؟
آهِ ... كم أشتاق أن يُجمعَ شملُ العائلة
لأصلّي فيك يا مقهى صلاةً نافلة
أنت تسقينا كؤوس الشاي خضراء،
وحمراء ... وفي لون البنفسجْ
(أيُّها الزهر الحزينْ
رغم هذا أنت تُبهجْ)
فاترك الأحزان يا أزرقُ، دعها للسنينْ
آهِ لو تعرف حزن الآخرين
يا حزين!!!
كلّما يا جارتي، هلَّ المساء
تسألينْ
أين يمضي الملك الضلّيلُ في كل مساء
أنت لا تدرين أين!!
أوّلَ الليل أجُرُّ الخطو، لا تدرين أين؟
نحو مقهى أشرب الأحزان من جدرانه قرب الحُسينْ
ثم أدعو للحسينْ
بالرضا عن رأسه ... والراحتَيْنْ
ثم يمضي الملك الضلّيل للمقهى الرمادي القديمْ
كللتْ حيطانَهُ خُضْرُ الطحالبْ
ونسيجُ العنكبوتْ
كلُّ ما فيه يموتْ
ها هنا أدفن رأسي
في رمادٍ مِنْ حَطبْ
في كؤوس الشاي حمراءَ وخضراءَ،
وفي لون الخُطبْ
ها هنا أدفن يأسي
وأقولُ اليومَ خَمْرٌ ... وغداً ... يا غُرباءْ
اسكتوا يا غُرباء
ارقصوا يا غرباء
فورا الثأر مِنّا خُطباءْ !!

بين الصفا والمروة

أتيتُ من رمال نجدٍ ... من تِهامةْ
ومن بلاد الشام، والفرات، من مدينة اليمامةْ

ومنـزلي تركته ينوح في كثبان طيّ
طلبتُ منك، سيّدي
وكل مَنْ وعدتَهُ، أعطيتَهُ الأسرار والحقائقْ
وطفلك الفقيرْ
أنكرتَهُ، نسيتَهُ يلوبُ في الحدائقْ
مُتيّماً كعاشقْ
حرمتَهُ من لذّة الوصال والتطهيرْ
تركته محترقاً ... بدون فيّ
ينوحُ في كثبان طيْ.
ها أنذا أحوم حول القبة الزرقاء
بدراً ... بلا أضواء
في ليلةٍ بليغةٍ ليلاء
نجومها ثابتةٌ مجهولةُ الأسماء
تلمعُ ... ثم تنطفئْ
أمكثُ طائراً ينقّبُ الفضاءْ
وبعدها يمرُّ فوق جبهتي الشتاء
أذوبُ نُطْفة فنُطْفة،
إذا تَسلَّقتْ جُمجمتي عواملُ الفناء
في الكرمل المُضاء
ها أنذا ألوبُ كالحمامة
عاشقةِ العَذاب قبل موعد القيامة.
ها أنذا ألوب كاليمامة
فقد طغى الغَمْرُ واضطربتْ صورتُهُ،
وامَّحت الأسماء.
وها أنا ألوب كالحمامة
أدور في المياه
كما يدور الصّقْرُ في مكانه، أدورْ
أكتب فوق جبهتي الأيام والشهور
- لقد نسيتني
لا أنت قد منحتني تأشيرة الدخولْ
إلى حصى الأنهارْ
ولا تركتني أرتّلُ الأشعار
ولا رميتني يا سيّدي في النار
وها أنا معلّقٌ على هواء فاسدٍ،
على ذراع سَرْوَةْ
وها
أنا
أسعى
من
الصفا
إلى المَرْوَةْ.
ذهَبَ الذين أحبّهم
جاء الشتاءُ وأنت ترتادين آفاق الشتاءْ

ورأيت أشجار العذاب تطلُّ من قلب المساء
لا حَوْرَ، لا صَفْصافَ، لا زيتونَ، يرفع رأسه نحو السماء
لا قلبَ جدتي العجوزْ
يدعو بأن يهمي المطرْ
خُطواتهمْ فوق القبور الصامتات ... وجدّتي
تمشي أمام الدار، تصرخ: يا ذئابْ
قوموا، ارحلوا، كَثُرَ الذباب.

يا أهل وادينا
ماذا بأيدينا
نبكي روابينا
لو تنفع الأشعار !!!

ويردّني شبح الشباب عن البكاءْ
أين المدائن غاضبات ؟!!
كنا نُنَثورُ خبزنا الطاغي لكلّ الكائنات
كنا جبالاً راسيات.
سرنا إلى البعيد يحثّنا الركْبُ
وتركت رَبْعكُم الحنونْ
حتى إذا وصل المغني في تقاطيع الغيومْ
شُقْنا نجوم القدس، مُسْبَلَة العيونْ
(وتلفّت القلبُ).[1]
ويمر تحت السروتين مُغنيّا:
هل مر تحتكما أليفي
يبكي فَيَنشَغُ دمعهُ،
والريح تنشجُ ... والمطر
يهمي على القصر المنيفِ
هل مَرَّ تحتكما وَليفي ؟!!
في الليل يرتدُّ البكاء المرُّ منهمراً إلى صدري
وطني يضيع ولا أقول:
آهٍ ... من الليل الطويل
لو كنتُ أملك أن يَرُدّا
(ذهَبَ الذين أحبهمْ
وبقيتُ مثل السيف فردا).[2]
أغنيات كنعانية
1. سنة بعد سنة:
سنة بعد سنةْ
ستعيشينَ مع الحزن سنة
وانتظار الحبّ أن يرجع من غربتهِ،

---

1 الشريف الرضي .

2 عمرو بن معد يكرب .

بعد سنة
يذرع الحانات والمقهى الذي يعرفهُ،
باحثاً عن سوسنة
في عيون الخطب الجوفاء،
في بحر الوعود الآسنة
سنةً أخرى من الوهم، تعيشين حكايا القرصنة.

2. حارس البستان:
مرّت الأيامُ والأشهر – قولي – والسنون
أكلتك الغُمّةُ الصفراء يا طفلي الحزين
صوتُ فيروز يصلّي – ينتحبْ
في مخابي القمر الصيفي تبكي
فضةً مطمورةً تحت العنبْ
تشربُ الماء من البئر زلالاً،
وتطيرْ
لو أتاها حارسُ البستانِ في يومٍ مطير.

3. هُنـا:
تلفّعنا هنا بالشوك والعلّيقُ يُدمينا
ولملمنا شوادِرَنا، وكنا نرفع الأعلام يا بردى
ونلتصقُ التصاق الجذر بالأوراق يا دجلة
وقبّلنا ترابك أيها الوادي
لقد مرّ الغزاةُ عليك أجيالاً وأجيالا
وفرّوا، أنت لا ترضى لنا بدلاً
ونحنُ ونحْنُ يا بردى ويا دجلة
هنا والثلج يلسعنا
هنا والطير يملأُ مرجة التفّاح،
في الوادي، وفي التلة
هنا وربيعنا يكسو الربى الشمّاء
هنا حتى لو اختنقتْ حناجرنا وبُحَّ الصوتُ
في الأصداءْ
هنا حتى لو انتهت الفصول، فصولُنا: البيضاء
والخضراء والسوداء والحمراء.

4. أمُّ الغيث:
كفى ... ما عاد يسمع صوتكم صَخْرُ
فماء الغيمة الكحلاء ضاع سُدى بوادينا
وأمُّ الغيثِ، نامت في سواقينا
وداستْ زرعنا الغربي،
جواميسٌ عِجافُ القلب ترعى في روابينا
وما ترعى سوى الأشواك والعُلّيقْ.
لأنَّكِ في منامي ظلّة أغفو إليها،

إن جَفَتْني الشمسُ ... وابتسمتْ ثناياكِ
لقد كنا تركناكِ
تَجوبينَ الصحاري خلف أجنحة السراب المُرّ،
ترتجفينْ
وقوتكِ من صخور الأرض تقتلعينْ
تلوبين القفاز يمامةً، حطّت بقلبِ الصخر
بريّــة
لأنّكِ خلف نوق القوم قمْرية
لأنَّكِ في براري الشام حورية
ترود مغائر الأعرابْ
وما طمرتْ رياح الإثم غيرُ مواقع الأقدامْ
فَهُرّي يا غيوم الليل ضوءاً أسود الموّال
لقد تعبتْ حماماتي من الترحال
لهذا يا بَني كنعانْ
أعيدوا للشموع بهاءها الفتّانْ
أعيدوا للطبول هديرها الرنَّانْ
فأمّ الغيث نامت في سواقينا.

5. ربيع تمّوز:
المطر يرشرش فوق الأوراق المهترئة
والريح تدقُّ الأبواب الصدِئة
المطر يرشرش والورق الأصفرْ
يتناثر في الرَدَهاتْ
الأرض العطشى تشربُ في وَلَهٍ قيظ الريحْ
تبلعه كحصان مجروح
تشفطُهُ، فلْتذهبْ يا زمن القيظْ
كرماد منثور في النهر الأخضر، وليخنقك الغيظْ
كنتُ أشاهدها تحرق أغصاناً خضراء
خرجت فقّاعات الماءْ
مُحدِثة أناتٍ كطنين الذكرى
في أذن النحل الأصفر في حقل الوردْ
في يوم من أيام التفريخ
حيث تهبّ الريح النيسانية.
جاءت تسعى ، فاصطادتْ أغنية بدوية
خلعتْ أزهار الحنّون الأحمر
طلّت السفحَ دما
من وركِ أدونيسَ المذبوح
وسقتنا ندما.
أحببتُ الموت هنا
حيث أموت وحيداً منفردا
ابتعدي عني، ابتعدي عن ذاكرتي
أنت سُدى
ما زلتُ أقارع هذا الخنزير البريْ

وعلى رأسي ينهمر المطر الكنعانيْ
من بطن سحابة
من قلب الغابة
تأتيني عشتار تلملمني .
ومددتُ العُنُقَ من النافذة المكْسُوَّةِ بالقطراتْ
وتنهّدتُ طويلاً
- روحكَ لَكْ -
مِن وقع المطر التشريني
يتساقط ثلجا في الطرقاتْ
وامرأةٌ (الثلج يذرذر يا سيّدتي)،
ساحرةٌ من قصَبٍ في الستينْ
تلهثُ تطرق باب البيتْ
تشهر في وجهي السكينْ
وتحذّرني من قرع طبول الحرب بتشرينْ !!!

6. دار أهلـي:
... وأنتِ تعرفين أن قلبي عندكمْ
في قاع دار حارس الكرومْ
وأنت تعرفين أنني أحب أخضر الشفاهْ
في سورها القديمْ
وأشرب المياه
من بئر مريام العتيق
قولي لنا: ما حالكمْ
تعالت الأسوار
والشمس ذابت في مَهامهِ السراب
الأرض في مدارها توقفتْ
الفلك الدَوّار
لا تعجبي، لا تعجبي:
في آخر الزمانْ
قد ينطقُ الحديدُ والفخَّار
وكيف حالُ الدار
عامرةٌ بأهلها ؟!!
لعلّها
أم حلَّ في جدرانها الدمار ؟!!

7. وعود:
مَرْمَرتني، آهِ يا أمّي الوعودْ
وصهيلُ الخطباءْ
حطمتني سنةٌ بعد سنة
لن نصلّي تحت قاع المئذنة
قبْلَ أن تُقطع هذي الألسنة !!

تكاذيب الأعراب

- قال الراوي الأولْ:
فرسي كانت تصعد درج القصر العثماني الأكحلْ.
- قال الثاني: ليلاً كنتُ رأيت البحر
يُكَسْدِرُ فوق ذؤابات الكرملْ.
- قال الثالثُ: من كرم خليل الرحمنْ
شُفْتُ مَزاودهمْ ترشح ماءً بلّورياً
فوق الحيطان ... بشيحانْ.
- قال الراوي الرابعْ:
كنا نركب ظهر الشهباء صباحاً من بيت المقدس،
حتى بغدادْ
حيث نَمرُّ على بادية الشام
ونعود إلى القدس مساءً لننامْ.
- قال الراوي الخامس: كان الرومْ
بخيولٍ شهباءَ على السهل يحومونْ
كانوا مئة خيَّالٍ أو قيل: يزيدون
جندلتُ الأولَ، فرّ الباقون.
قال الرجلُ الهادئُ مثل اليَقْطينْ:
هذا القنديل الأصفر ظلّتْ منه ذُبالة
يقطر عسلاً من نحل الهَشّاتينْ
(ما أكذب من شابّ ... يتغرّبُ في الأمصارْ
إلاّ شيخٌ ماتتْ أجيالُهْ)،
في حربٍ
كانت مهنتهُ فيها ... نقلَ الأخبارْ.
تـوقـيـعـات مرئيّة

1. سكاكين:
في زمان الندى والسماح
كنت أكثرهمْ في السماح
ولمّا وقعتُ حصانا جريحاً، وحيداً، شهيداً، فريداً، طريداً،
على صخرةٍ في الظلام
فجأةً ... طوَّقتني سكاكينهُمْ ... والسهامْ
وصرتُ يتيماً على طاولات اللئام
هل أميطُ اللثامْ
عن أكاذيبهمْ، هل أميطُ اللِثام ؟!!
يا زمان الندى والسماح.

2. من يقرع الأجراس ؟!!
في الصف الأول ، أشجارٌ تطلبُ حصّتها في الشُهرةْ
في الصف الثاني أحجار

ينقلها اللاعب بين حقول الألغام.
في الصف الثالث تركض مُهرة.
في الصف الرابع : أشعارْ
كُتبتْ عن عشق من نار
لكنْ، لا يدفع أحدٌ مَهْرَهُ.
في الصف الخامس، تجارٌ من عصر الأنوار
لكنْ في القرن الخامس للهجرةْ
يبكون على صمت الأقدار
يشكون غياب القُدْرَهْ
يا هذا، هذا زمنٌ صرصار:
من جسدي هذي المدن الخضراء
من عرقي هذا البار
(لكنَّ المندبة كبيرةْ
والميتُ – صَدِّقني – فارْ!!)
الميّتُ هذا الخوف القابع في الأغوارْ
الميتُ ورقةُ توتٍ في قنوات الأنهار
كنا نخفيها
أو تخفينا
ونغطّي أسباب كآبتنا بغموض الأسرار.
من يقرع أجراس الغيرة
يا آرنستو !!!

ناطوراه

1. ناطور قديم:
يأتيكَ ينتعلُ الأديمَ : أديم أتربة الصخورْ
يأتيك يحرس في الشتاء تراب حقلكَ، لا يثور
اللوز يملأ سفحنا نوّارهُ الأبيضْ
الناسُ في أرض الشآم
طير الحمام
ما حالهمْ ؟؟
هل لا تزال تطير فوق قبابهمْ
هل لا تزال تحط فوق ترابهم
أم أنتَ قد أنكرتَنا كالآخرين
مرّوا ... وما ألقوا سلاماً ... أطلقوا للريح
سيقانهمْ ... أوّاه يا كبدي الجريح
من يشتريك ... فأستريح !!!
يأتيك والرمّان منتصب النهود
وعلى سلالم – دارنا رقصَ اليهود.
كنا سندفن جدّتي في الخانْ
يا بائع الرمّانْ

وَرْدُ الصبا غنّى
لا تقتربْ منّا
أحبابنا مرّوا
لم يسألوا عنا
لكنّ ناطور الكروم يحوم في الأفق البعيدْ
المقبلات يقُلْنَ في فرحٍ وعيدْ
اليوم يأتي عازفاً وتراً وعودْ.

2. الإذاعات تُحارب
أيها المُهْرُ العنيد
قل لنا: ماذا تريد
فسّر لنا هذي المصائبْ
هل تخلّيت عن الحرب وروحُ الناس في الأنف تُحاربْ
أنت قد أشبعتنا حلو الكلام :
- الإذاعات تحارب
أنت قد أعليتها سدّا فسدّا
أنت قد حوّلتها أطلال سُعدى
قل لنا: ماذا تريد ؟!!
كلُّ شيء في يديك الآن يخجلْ
رمحك المكسور والصوت النبيلْ
وكلامُ الناس مرميٌّ إلى الأرض،
وأفيالك تلقيه إلى الموت،
وأفراسك تصهلْ
ثم ترمي خطبة أخرى على صَدْرِ الموائدْ
كأحاديث الجرائد
عنكَ أنتَ المنقذ الأعظم في هذا الزمان المُرِّ،
يا وجه الأفولْ
ثم ماذا ستقول !!!
بعد أن نامتْ صُراخاتُ الطبول
ثمَّ ماذا ستقول !!!
يـا بـعـيـداً

لم يزل في الكهفِ،
يطوي الصمتَ،
يندبْ.
ومن السقف تدلّتْ
في الهواءِ الأزرق المجنون،
عقرب.
يا ليالي السجن بعدك
أنت قد أخلفت وعدكْ
إن تكن أنسيتني أيام سهدي،
فعلى جبهتك الزرقاء ... سهدكْ

تمطر الحكمة فوق الأنفس الثكلى
تزيل الكرب ... وحدكْ.
كان في الرحم يسيرْ
وعلى درب الحياة
بعد أن ثار على الكهف الصغير
وارتوى من لبن الدفلى
ومن عذّب المياه
أمطرتهُ الحكمةُ البيضاء، أسرابُ اليمامْ
فانحنى يوما وصاح:
لحمك المنثور فوق التلّة الخضراء،
يرميني لظاه
يا بعيداً تسبر الرملَ خطاه !!!
تـحـذيـرات

الطاولاتُ يا مولايَ،
جُهّزتْ لمؤتمرْ
كي تنحدرْ
مولاي، إنَّهُ زمانُ الروم
يا قاهر الصعاب
يا وارث الضباب والغيوم
تعبتُ يا مولاي من عَدِّ النجومْ
من كثرة الأسفار والمغامرة
تأمرني بأن أشد فوق جرحي،
أن أصومْ
تَحُضّني على المُكابَرَةْ
مولاي، إنه زمان الروم
فليحذر الهسكوس والجبابرة
وليحذر العمالقة.
جالوتُ يا جالوتُ يا جالوتْ
مولاي يا جالوتْ
قد نفقد الأشجار والبيوت
قد نفقد الدروب والعيون
فلتحذر الطاغوت
قد تُشعلُ الحقولَ نارُهُ المؤثرةْ .
مولاي إنّهُ زمان الروم
يا من خَراجُ مائه يضيع في القفار
مولاي يا من مُلْكُهُ بلا حدود
وجيشه عَرَمْرَمْ
يجتاح بحر " قلْزَمْ "
ويستعيدُ مُلْكنا المفقود.
مولاي قد غاب القمر
واحتجب الغيثُ وغابت الأسماء

غربانهمْ من فوقنا تحوم .
حتى أتت حمامة زرقاء
وعنكبوتْ
ونصبا على حدودنا سلاسل! الدعاء
تمنعنا من أن نموتْ
كما يموت الجبناء.
مولاي يا جالوت
قنديلنا انكسرْ
الطاولات جُهِّزتْ لمؤتمرْ
من أجل أن يقتسموا الهواء
والقمحَ والحجرْ
والزيتَ والسِراجْ
هل يتركون في ساحاتنا الشجر
بل يتركون في قلوبنا الضجر
ويتركون الخوف في البلاد
بل يأخذون الغابة الرؤومَ والمطر
الطاولاتُ يا مولاي جُهِّزتْ لمؤتمر.

وكان الصيف موعدنا

وكان الصيفُ مَوْعِدَنا
وكانت في عيونك بسمة تجلو
همومَ الغربة السوداء
حليبُ الشوق في الأثداء
إلى عينيك يدفعنا
ألا يا حلوة العينين،
لو تدرينَ،
أن الكُلَّ يجحدنا
وأن الغربة السوداء ، قد أدْمَتْ سواعدنا
ومرَّ الصيفُ، مرَّ الصيفُ، كان الصيف موعدنا !!!
وأنتِ وأنتِ تبتئسين لو مرَّتْ
نسائمُ صيفكِ الصاحي
وأسمعتِ الغناء الحلو من عصفور تفّاحي
يغنّي جرح من رحلوا
أنا منهم ... وفي الساحات أفعى تلسع الأجسادْ
أنا منهم ... كأنّكِ مُهْرةٌ ترعى بقاع الواد.
كأنَّكِ شِبْهُ نائمةٍ، بلا وَتَرٍ، ولا أعوادْ
كأنَّكِ قد نسيتِ زنابقَ الذكرى،
كأنَّكِ شمعةُ الأعيادِ

لو تعلمين بأنّي

هجرتُ شعري وفنّي
وتهتُ بين الشعابِ
على سفوح الروابي
أحُثُّ خطوي سريعاً
لخطوكِ المطمئنّ
لو تعلمين بأني
هجرتُ شعري وفنّي.
جيوشُ الشوق ... ما مرَّتْ ... وأحبابكْ
مضت سنتان ... ما دقوا على بابكْ
ومن يدري
أيرجع عطفك الغامر
وتستمعين للشاعر
أقص عليك ما لاقيته من قسوة الزمن
وعن شوقي إلى وطني
ومرّ الصيفُ،
مرّ الصيفُ،
كان الصيف موعدنا !!!
كنيسة القيامة
لي جارة صبيّة
تفاحة نديَّة
عيونُها زرقاء مثل مريم العذراء
وشوقها جدائلٌ مَطْويَّة
تسكن في مدينة الرياح والهوى
مدينة أرادها السفّاح أن تكونْ
موصدة الأبواب والكُوى.
في موسم الربيع حيث تولد الأشياء والطيور
تلفُّ وجهها بهالةٍ برّاقة لعوبْ
قالت: غداً نتوبْ
قال: غداً نسير في خشوع
لسيّد البرية
نسير في بستانه، نستنشق الهواء
تحت جناحي رغبةٍ تسير
فأسْقُطْ علينا كالندى في ليلة التطهير
من فوق ألف سور
موعدنا غداً كنيسة القيامة
نُفرّقُ القروشَ والشموع والنذور
نشمُّ طلْعَ النور
نوزّعُ البذُور في ساحاتنا
حمامة تحطّ في الأفياء
حمامة على جدراننا تطير
موعدنا غداً يا شمعتي كنيسة القيامة.
محطة الخليل

تضجُّ بالأصوات والرحيل
العنبُ المبحوح في الراحات والحناجر.
- نابلسُ: من ينقلني إلى عيبال ؟!!
نارية، خمرية بالوشم والوشاح
في رحمها أغنيةُ الجوَّال.
- أمَّا أريحا، جذرنا المغروس في التاريخْ
ناديتُها: صفراء يا صفراء يا صفراء
خضراء يا خضراء يا خضراء
يا جمرة الصيف التي تضيء في الشتاء.
أما صلاح الدينْ
فشارعٌ من دمعةٍ وطينْ
وصوتُهُ تفاحةٌ وأنجم وكهرباء.

القدسُ يا مريام
حاراتها من فلفل الغرام
حروفها من ذَهَبٍ قد خطَّها "محمَّدٌ صِيامْ"
الصخرة الخضراء
السروة الخضراء
نقوشها خضراء
سماؤها فضيّة زرقاء
جذورها في القلب والشروش والدماءْ
موعدنا المحفور في الصدور
رُمّانةٌ من دمنا المهدور
موعدنا غداً كنيسة القيامة.
يجيء صيفٌ نائمٌ في الدمع والذباب
يجيء صيف، خَطِرُ الأنياب
يغلق في وجوهنا الأبواب
يَسُدُّ طاقة الرَحْمات.
أمامَنا، مريام
وخلفنا، مريام
هل تصْدُقُ الأيام يا مريام
هل تصدق الأيام !!!
فُروتا طائرٌ أخضر
عيونكِ فيهما وَهَجٌ
صريحُ اللون لا يخفى
عيونكِ مَلْجَئي ، منفايْ
وأعشق ذلك المنفى.

فُروتا طائرٌ أخضرْ
لطيفُ الوجه والمَعْشَرْ
فروتا طائر ملهوفْ
ينقب عن بذور الورد، فوق السطح، والجدران، والمَرْمَرْ

فروتا طائر نعسانْ
يشقُّ السطر في الدفتر
ليشرب حبر دمعته على مَهَلٍ ولا يسكر
فروتا طائر أخضرْ
نبيذيٌّ رماديٌّ، هوائيٌّ ، إذا ثرثرْ
ينام على مشارفنا
ويبكي في حديقتنا
ولا يظهر.
وإنْ جاءت ليالي الصيف تذكرني
فقد ولدتْ فروتا في ليالي الصيف
وعاشت في ليالي الصيف
على الشرفات بَصَبْصَةً ، وتفردُ شعرَهَا الأسمرْ
فروتا طفلة تنمو ، كما أنمو مع الأيام
لنبني عشَّنا الأخضر.

وألقانا الزمان المرُّ في بحرٍ بلا أطراف
ورحنا نسأل العرَّاف
عن الجزر الرمادية
عن المرجان والياقوت والسفن الشراعية
فتمتم ثم عَزَّمَ، قال إن الريح تدفعكمْ
إلى جبل الحديد الصلب والصوَّانْ
على هاماته السمراء
تغيب الشمسُ، يهجم ليلُهُ الظمآن
يظلُّ منارةً تأوي إليها الريح في الشطآن
سلاماً
أيُّها الحارسْ
سلاماً أيّها الفنّانْ
سلاماً يا فروتا الورد والرمَّان
أحبك مثل حارسةٍ من التفاح والبرقوق
أحبك مثل مارقةٍ بقلب السوق
أحبك مثل كوز التين بالأنداء.
رأيت البحر: طحلبه، ثعالبه،
وما يرويه رملُ الشطِّ للموجة
رأيت الماء يغرق في هوى الأسماء
وكلبُ البحر يلهث خلف أسماكٍ صغيراتٍ،
يَحُمْنَ هناك في الأرجاء
يقول لهن: عَكَّرتُنَّ صَفْوَ الماء.
رأيتُ بنات آوى في كروم الصيفْ
رأيت الطفل مذبوحاً بحدِّ السيف
رأيتُ بنات حارتنا
يجرجرهنَّ سوطُ القاتل النخَّاسْ
فروتا يا أعزَّ الناس

زماني ميّت الإحساس.
أنا المسفوح والسفّاحْ
لحبك لسعةُ الخاطر
أنا العطشان ترويني
بحارُ الهند والصين
وأنت فراشتي، ضوئي
إذا ما أظلم المتراسْ
وصار كآبة في الكاسْ
فروتا يا أعز الناس
زماني ميّتُ الإحساس.

عُيونكِ فيها وَهَجٌ،
صريحُ اللون لا يخفى
عيونك ملجئي، منفايْ،
وأعشقُ ذلك المنفى
وأعشق ذلك المنفى.
الرحيل إلى حيث ألقتْ ...

بَدْرُ الزمان في عيونهمْ يطوفْ
في قلبه حمامة برّيةٌ هَتوفْ
تحوم حول وجهه وفي بلاد الشامْ
شاهدتُها تُنقر القُطوفْ
في مهرجان العنب الشَّفيفْ
شاهدتُها في ساحة الآلامْ
في كفّها الوعودُ والرعودُ والدفوفْ
وشمعةٌ وضّاءةٌ في الرامْ
ودمعة في خدّها كنجمةٍ من نار
شاهدتُها تحوم حول الدّار
وصفّقتْ لكي تنام
إلى جوار حبنا المُنيفْ.
سمعتُها تُذاعْ
شاهدتُها تنام في مجلةٍ أنيقةٍ تُباعْ
صورتُها منشورةٌ على الغلاف
عيونُها غدائرُ الصفصاف
سحرية الخِلْقة
جناحُها يميل للزُرْقة
شاهدتُها
يا ليتني ما كنتُ قد شاهدتُها
فآهتي تقول إنني عشقتُها
وظل طيفها يصيح في بلاد الشام
تلحقني، كأنها تعرفني من ألف عام
فإن رميتُ جبهتي على الوسادة

تصحبني كأنها الأيّام
هربتُ منها للصلاة والعبادةْ
لكنني وجدتها تنام
إلى جواري، شعرُها
كبحرِ موج الشاعر الهُمامْ.
وجدتها مقتولةً بأمرِهِ
في قُمقم الظلام
وجدتُها تزوجتْ خلايا الضوء .

- حمامتي مذبوحة، وريشُها منتوفْ
من أيّ جُحْرٍ جاء الثعلب الملهوف.
كأسي على المدى مغرورقٌ بالدم
كأسي على مَصطبةٍ ونجمُهُ منحوسْ
كأسي يدور فارغاً بين الكؤوس !!!
قراءة أوّلية لطريق العين
الماءُ الرائي
الماء المرئي
الماء الموصوفُ بنكهتهِ كحليب الماعز
الماء الثلجيُّ المتسلل ما بين عروق الصخر الورديّ
أنقى من قلب الطفل الأسمر
أنقى من كهربةٍ في الروحْ
يشعطنا كالزعتر بالزيت البلديْ
يفتح طاقات في الجهة الشرقية للقلب
الماء السمح بضحكته البيضاء
الماء الصافي كالأصوات الأولى
الماء الأحمر مثل الوعل البريّ المجروح
عند سدود البحر الميّتِ، حيث حقول الملحْ
الماءُ المذبوحْ.
لسماحته طعم الأرض النَوْرانيَّة
أعني تمتمةً وتعاويذ الوله الشفويّة
في متن نصوص الأجداد الفضية
حول الماء
كنَّا نلتمُّ كعائلة حول الماء
نلتفّ كثعبان حول الماء
يا سيدتي الكنعانية
جرّتُك دليلُ العشّاق، عطاشٌ في بريّة لوطْ
جرتك المشوية في الطابون
تحرسها هالاتٌ وإشاراتٌ سحرية:
نقْمَشَةَ لرغيفْ
حجرٌ منقوش كعروس في ليلة دخلتها الأولى
رَوْثٌ ذكّرني بسنابل راعوث
رأسك، قبّته كوليّ صالح

جرتك الراشحة بأنداء التين
جرتك لدبسٍ يُثقِل أدمغةً في الصبح البارِدْ
مجموعةً أوتار تعزفها الريح الجبلية
فوق رؤوس الحطّابين
غُدْفتُها منديلٌ ملفوفٌ حول التفاحة
أسراب النورس في مُنعرجات البحر الأبيض
أبيضُ، أبيضُ، يا أبيض
كم يذبح أوردتي اللحمُ الأبيض
كم يدهشني الأبيض يا متوسط
كم تقتلني الفِتَنُ الكُبرى في أطراف عروق التطريز
كم راقبتُ حمامة وادينا ، حين تحطُّ على الإفريز :
" مرّت، مرّت ... ما مرّت
مرّت ... ما مرّت
مِرْواد الكحلْ في العين جَرَّتْ "
فطساءُ، قياسٌ أبديٌ لامرأة ليمونية
الحمرةُ من أصداف البحر العكّاويْ
وحريرك من سوق شُجاعيّةِ غزّة
سلسال صديرِكِ روّعني،
خلاّني مطروحاً فوق فراش العشق
حين تزورين البحر الميت في غسق المشمش
خلّيني أتجرجر خلخالاً في أسفل ثوب الفتنة
خبّيني في عُبّ قميصك، كالحنّونة في حقل القمح.
هذا البحر الميّت لي
طوّبتُ شواطئه في دائرة عقارات الكنعانيينْ
هذا البحر الميّت لي
غسّلتُ جوانحه بالماء العذبْ
هذا البحر الميّت لي
طهّرهُ غضبُ براكيني
هذا البحر الميّت لي
شيّعت جنازته بحداء الركبانْ
من رأس الناقورة حتى رمل شعابي
من صيدونَ إلى غسق جبال الغيم الشرقية
حين تزورين جهير الماء الطيّب
أتشعلق في قبّة صدرك مفتوناً وأمام الناس
كضحى من ذهبٍ، يغشى أطراف البرية.
لكنْ
دُلّيني: أيّ طريق أسلكها للقلب
قولي لي: أيّ طريق أسلكها للعين
لسماحة هذا الماء.
الثعلب ينهش شمّامته بهدوء في حقل البطيخْ
بهدوء يرد العين، يحدّق مرتجفاً من وهج العينْ
يطلق صرخته كرضيع من أجل حليب غلاوتك،

ومن أجل نقاء الروحْ
يزعم أن العين طريقٌ رجرجها عَصْفُ الريح
الحجل البريّ على أطراف حقول القمح،
يناديك ويحسدني
ثمّ يغازلك بوقوقةٍ، حتى أنغاظ
شجرة صفصافٍ عند طريق العين تباهتْ بسوالفها
قالت لي: فوق سرير من خشب الورد الوهّاجْ
نتشابه إن مسّدتَ بكفّيكَ على الأمواج
الحورةُ غارتْ، فأشارت لبُطينِ الأوراقْ
ورقي صفّةُ ذهبٍ عثمانية
بل تحت الأوراق الخضراء رحيقي المختومْ
لم تمسَسْهُ الجنُّ، ولا خيلُ الروم
قالت لي: حدّقْ في الجسد الملفوفْ
أفراحي في الجسد مُتلتلة، وقوامي مهضوم.

وبقيتُ أراقبها في حاكورة أعشابي
حين تمرُّ غزالةُ هذا النبع، تدق على بابي
نذهب في الباص إلى المدرسة كطفلينْ
لكنّي لا أترك عيني عن درب العينْ
لا أتركُ عيني عن درب العين.

خـيـانـة

وعندما قلتُ لهمْ
أطعمتكمْ من كِسْرة المُشتاق
ومن جرار الخمر ... والأشواقْ
لكنَّ واحداً عليه نعمتي تُراق
ينكرني قبل طلوع الشمس في الأسواق
وعندما قلت لهمْ
كان يقول لي مُزمجرا:
يا سيدي ذوّبني الوجد وحنّني الحنين
فجئت بابك الطهور آخر النهار
وقال لي : لو جارتْ الأقدار
عليك، لن أكون منكرا
وجاء يومٌ أصفرٌ وحالكٌ، ثقيل
وعندها أنكرني
قبل صياح الديك في الحقول
سلّمني مع الصباح للعدا.
" ربّيتهُ حتى إذا
تَمَعْدَدا
كان جزائي
بالعصا
أن أُجلدا".[1]

---

(1) بيتٌ من الشعر القديم .

ملاحظات قبل الرحيل

رسائلٌ تجيئني مُخْتَصَرَهْ
حروفها معدودةٌ كأنّها من ذهبٍ أو ... ماس
أهكذا يعيش كل الناس !!
أم وحدنا نموت فوق النطع، تحت القاطرة
رسائل ثلجية الإحساس
لكنني نسيت أنها مغامرة
أن تكتبي حرفاً به مرارة الشوق،
وصدق الذاكرة
نسيت أن كل حرف في الكتابة
قد صَمَّمَتْهُ هيئةُ الصليب ... والرقابة
بداية نهاية مكرَّرة
يا حزن قد ذوَّبْتني
رميتَني للعتبات المُقْفِرة !!!
هل أنت تشتاقين للنهر المقدس والعذابْ
هل أنت تشتاقين للأرض الخراب
أم رؤية الولد المعذّب قاطعاً صحراءَ تيهْ
لا تسأليهْ
قد ضاع في وجع الليالي،
ربّما، لن تسمعيهْ
يا حلوتي،
كُلٌّ هنا قد جاء يبحث عن بنيهْ
وأنا وأنتِ على الأسى نحيا ونُبحر في السراب.
هل أنت تشتاقين أن تقفي على قدميكِ،
ثائرة المواجع، تصرخينْ
مات الرجال على الوسادة
عَسُرَ المخاضُ وأنت في الستّينْ
من أين تأتيك الولادة !!
جاء الشتاء المرُّ، جاء العيدْ
ويجيء ما بعد الشتاء
وتظلُّ عيناكِ المعذّبتان تنتظران عودَتهُ،
من البلد البعيدْ
قد أثلجتْ شوكاً على ليل العبيد
ما زاد من دمعي
مرّوا مع الليل البهيم وأطفأوا شمعي
وتلوب عَبْرَ السُحْبِ قهقهةُ الجنودْ
ترتدُّ في عيني وفي سمعي
شجراً من الزقّومْ
من منكُمُ ... سيصدُ جيشَ الروم !!!
من منكمْ يحمي التُّخوم ؟!!

لا تقطعي النـهر المقدَّس للأماني والوعود
لا ترحلي
لا ترحلي
فوراء نـهرك غصة من علقمٍ في أفقكِ المَسْدودْ
ووراء حدِّكِ، رُعْبُ قهقهةِ الجنود
لا ترحلي
موتي هناك كوردة بيضاء
موتي هناك كنجمةٍ في الماءْ
وأنا أجيئكِ كالرعودْ
أوْ جُثةً آتيكِ ،
كي تعلو زغاريدُ النساء !!

أسـوار

مِرْيامُ سورٌ، ثمَّ بابٌ ثمَّ سورٌ ثمَّ بابٌ ثمَّ سورْ
وراءها تبدو لنا البلابل التي قد تقرض الأسلاكْ
وراءها القبورْ
وراءها مسالكٌ ونبعةٌ وسفحْ
وراءها كنيسةٌ خاوية بلا جَرَسْ
وراءها صنوبرٌ وسروةٌ وصخرة مباركة
وراءها قلوبنا المُفكَّكة
خرجتُ يا مدائن الناموس والذبَّان والحَرَسْ
خرجتُ باحثاً عن وطنٍ نديٍّ في مقالع الوطنْ
وقد وجدتُهُ على جدارك الولهانْ
وجدته في دمه غرْقانْ
أصابعُ البصْمات واضحة
مريامُ ليست حجراً أوْ سورْ
مريامُ نبضُنا الخفيُّ في الصدور
مريامُ نجمة أقوى من الصباح:
- (... أنا زي ما كونْ عسكري سكران
ماسكْ مدفعْ سَعْرانْ
أضربْ في الفاضي وفي المَلْيانْ
يا ناسْ ... فين السِكَّة ؟!!)[1]
- ألم نقل يا وحدكُمْ في الساح
وهُمْ هناكَ ... غارقون في الأقداحْ
كؤوسهم ملآنة بالراحْ
كؤوسنا يملؤها نجيع الدم.

مـقـهـى ريـش

رشرشت النجمةُ أمطاراً حمراءْ
زهرةُ حنّون بريّة

---

[1] نصّ للشاعر اللهجي المصري الصديق سيّد حجاب .

تُلهِبُ قلبَ السفحْ
أغنية زرقاء
رائعة كالجرحْ
تتسلق ذيل الثوب الغجري
وعلى الصدر فراشاتٌ وبنفسجة في ياقة قبّتها
أما الخصر فقد وشّتْهُ بتوشيح حزامْ
من أفضل أنواع طيور الشام
الصنْدلُ مثلاً، والأبنوس السودانيْ
موزونٌ في دبكتها لظريف الطولْ
القبّةُ أفياءٌ، وعُروقٌ من عنبٍ مجدولٍ كالأفعى
قابلْني خلف الدرج الوردي.
عيناكِ من الفلفل تفترعان قلوب العشّاقْ
وغبارٌ تتركه فرس في الخلفية حيث السهلْ.
العشّاق يتاماها، والشجر الواقف حيّاها
الذئبُ الشاعر يرمقها ، يخنقه الغيظ
ظلت تَجحرني، تفترس ضلوعي
تمعسني بين يديها، وتُفَتِتُني كالرمّانْ
تدهسني بصهيلٍ، وهديلٍ فتّانْ.
وأنا أرقبها في كأسي الذبلان
كقتيلٍ. أرمقُ لوحة تشكيلٍ فوق جدار الحانة
ترتدُّ الغجرية في قلب إطارٍ باردْ
صامتة عُريانة.
غادرتُ الحانة نحو الميدانْ
حيث بطاقاتُ الألوانِ المتراميةِ الأطرافْ
تتجلى فوق الأرصفة على عُرس الأغصانْ
البائع ، فاجأني: خُذْ هذي الوردة
خُذها، وانشُرْها في الريح
اربُطْها بأظافر زاجلةٍ تتقن فكّ إشارات المنفى
قال الشاعرُ للشاعرْ:
سَئِمَ النادلُ منّا، والبائعُ والليلْ:
(يأتيكِ يوم العيد مُسْتَبْشِرا
يدق باب البيت ... من يا ترى:
ساعي البريد.
تسارعين الخطو مستعجلة).
- بطاقة يا حلوتي من طفلك البعيد
زهورُ وادي النيل قد أخصبتْ
وأقبل الحصيدْ
وعدتُ قبل الفجر يا حلوتي،
ألملم الأحزانْ
مكثت طول الليل في غرفتي،
وأدمعتْ عينان !!!
شَقْشَقَ فجرُ الشعراء على المقهى

دخلتْ مولاتي في شمس الثرثرة العرجاء
لم تعلم أنَّا شعراء
نعلم خافية الأعين، قال الشاعرُ للشاعرْ:
غجريةُ حائطنا صارت تمشي
اللوحةُ تمشي
الوردةُ تمشي
النخلةُ تمشي
النادلُ يوسفُ يمشي
فرسان الخلفيّةِ يمشونْ
لكنْ أين الساعي
كي يشهدَ
كيف بطاقاتُ المنفى تمشي !!!.
مطار قلنديا
كانت تجلسُ في المقهى قرب الشرفة
الحلوةُ كانت تفتل قدميها تحت الكرسيْ.
تتزمَّلُ لوحة بيت المقدسْ
كالبلّوط المشويّ ضفائرُها، تتدلّى فوق كتابْ
وأنا أتهيأ كي أركب طائرة المنفى، آخر مرَّةْ
كانت أوّل مرَّة.
كنتُ هجرتُ حقول التفاح الذهبيْ
كنت فتىً منعدمَ الْخبرةْ
لاحقها قلبي من أوّل نظرة
وأبي فاجأها، فارتعشت كغزالٍ مذعورْ:
هل أنتِ إلى الفُسطاط تطيرينْ ؟؟
قالت بعد قليلٍ تلمحُني في الريحْ
من أيّ المدن الخضراء عجينتكِ الخمريَّة ؟؟
قالت : من حارة مريامْ.

أوصاها بالولد الأندلسيِّ القادم من مقلع غرناطة
أوصاها بالولد العنب الدابوقي
مرَّت كفَّاها فوق ضفائرها في خجل سرّيْ
نطقتْ أحرفها الأولى بعد رضاعتها الأولى
- في عيني، في البؤبؤ، فوق الرأسْ !!
ثم ارتشفتْ كأس الليمون، عشقتُ أصابعَها
ثم تولّهتُ بأغنية البلبل في الأسنان الفضية.
كنتُ وحيداً لا أملك إلاّ تذكرةً وجوازَ سفرْ
ومفكرةً صفراء
تحمل أسماء الشعراء
حين وصلتُ إلى المنفى قالت لي: احذرْ
احذرْ أشواك المنفى الذهبيَّة
أذكُرْ دالية تتشعبط من نبع،
فوق سلاسل مريامْ
حين الهمُّ يحيطك، أذكُرْ وردة مريامْ.

وبقيتُ أفتّش عنها
لكنْ مثل الجنيّة فرَّت كغزالٍ مذعورْ
وأنا أغرق في عطركِ مريامْ .

- لن تتذكرني حلوة مريامْ
لن تتذكرني !!!
لا يعنيها الأمرُ الآنْ !!
خـان الخليلي
سَنَمُرُّ كرهْطٍ من غجرٍ قدّام المقهى الرمليْ
وسأربط فرسي في حوش الخانْ
حيث أُمَسْمِرُ سيناتِ التسويف المُرّةْ
في خشب التفعيلة في المقصوراتْ
حتى يحميني السقفُ الخشبيُّ البردانْ
يحميني من عاصفة الصَهْد الحجريّ.
سأمُطُّ الحرف الساكنْ
أرخيهِ على المصطبة الكحلاءْ
مثل خليليْ
فإذا أتقنتُ الوصفَ،
صرختُ: الوصفُ رماديْ
وإذا أحبطتُ بتأتأةٍ عرجاءْ
أخفيتُ الطاقية في جيبي ... وطردتُ الجِنّيْ.
أوْ صرتُ كَراعٍ ، يبحثُ عن عشبٍ،
في مُدُن الخَرَصانْ
دعني مادام الأمرُ مغامرةً،
أستسلمُ كالرعيانْ
لمفاجأةٍ في قلب الصخرة ، أو عَتْم مغامرات الوديانْ
دعني أتأمل باسترخاءٍ ، أسماءَ وحيطانَ الخانْ.
- قلتُ: الإيقاعُ سيشربني في الوصف الرنَّانْ
قلتُ: الإيقاعُ يساعدني في ترميم الخان
الإيقاع، هو الوطنُ الضائع بين التفعيلة والبحرْ
الإيقاع هو الطوبةُ إن كانت حمراء
حين نُؤاخيها بالإسمنت، وحين نغازلها بالماء
أو حين نرشُّ نشارة هذا اللوز على أرض المقهى
بَعْدَ غيابْ
قلتُ: الإيقاعُ خليليٌّ كصلاةٍ عند الأعتابْ
البحرُ خليليٌّ أيضاً، والتفعيلةُ تهطل مطراً
من جرح (السيَّابْ)
الإيقاع انهمرتْ دفقتُهُ من كرمتنا الأولى
حين ابتدأ الإيقاعُ على وقع الخطوات الأولى
فوق ظلال البركة، عند السفح البردان
وانصهر الحرف الكنعاني البحري الجبليّ
بمياه النيل ورمل الشطآن.
ظلَّ الإيقاعُ يُبصبصُ لامرأةٍ قدّامَ المقهى

حتى غابت آخر رقَّة خيطٍ في بستان جدائلها
وتلاشت آخر نقطة شمسٍ بين الثديينْ
وانفجر الإيقاعُ حزيناً
لما شاف نقاط التفتيشْ
ولكي يتمكن من تهريب الأحزانْ
أخفى التفعيلة في جيب قميصٍ شفَّافْ
في الصيف الجافْ
ثم سقاها شَرْبات الحبر السرّيْ
زَيَّنها بنخيل، غطّاها بقشور الأصدافْ
وأراهنَّ أن العنب خليليٌّ، والحجر نَعيميٌّ،
واللوزة لا تعرفُ كيفَ تخاف.
لكنْ لمَّا اكتمل ضجيجُ الحوض بقرقعة السكّانْ
حَنَّ إلى البحرينْ
فتأبط عكَّاز قصيدتهِ المسمومةِ، وانفجر كبركانْ
دفن التفعيلة في قلب البحر على شجر المرجان
في قاع منسيْ
مثل خليليْ.
مرَّت كوكبةُ التفاح، ورهطٌ من غجرٍ قدّام الخانْ
ناداها في فجرٍ من ضوءٍ طازجْ
كي تصلح أمر الأوزان.

في مفترق المدن الكبرى
يا تفاحة قلبي الخالي
خشبُ التفعيلةِ مُبْتَلٌّ
البحر الميّتُ ينطرني
غمغمتُ طويلاً في ليلي
في طاعةِ مريمَ تمتمتي
منغلقٌ مرجُ سوالفها
في طاعة مريمَ أشعاري

دمعتُها تهذي للريحْ
في غصنٍ من شبق في الروح
والبردُ من البرد يجوح
الملحُ بردْنَيْه يَفوحْ
وفتحتُ الباب المفتوح
في عنبٍ كالعلَمِ يلوح
ضوءٌ وغموضٌ مَشْروح
في عشق الوطن المذبوح.

آلو الأغاني، بِتْقولْ معاني، في وَصْفِ خوفي، مِن السنينْ
النيلْ بيجْري، قالوا بيضْحَكْ، وهُوّا ماشي، لكنْ حزينْ
ضحِكتوا سَمْرا، وفيها خُضْرا، مَلْيانْ طَراوا، مَلْيانْ حنين.
قام الخليلي، تَرَكْ حبيبتو، في جَبَلْ جوْهرْ، حَمْرا العيونْ
وظلّ طيرو، مكسور شُعورو، قاعدْ، ينوِّحْ، على الغُصون
راح الخليلي، كَسَرْ بُحورو، في ليلا ضَلْما، بْقَلْبِ المُتون
النيل قِلّو، وحياةْ عُيوني، راح تبقى هُوني، يا ابن الخليلْ
تعالْ وشوفوا، أكرم ضُيوفو، من عَهْدِ خوفو، عاشوا بأمان.
بنى لِطيرو، وعَلَّى مقامو، على الزمان
رَبَطْ حصانو، في حيطِ خانو، وصار إسمو خان
إوْجِهِ الفيشاوي، قام قَلّو إسمعْ، بدّي مكان
فيهِ الحبايبْ، يلتمّوا عصراً، عندِ الحيطانْ.
والقهْوا مُرَّا، مثل الأغاني، على الصواني، فوقها الدخان
والميه مِنّو، ونراجيلو، ترُوحْ تجيلو، والطاولاتْ
كان الخليلي، بشوفْ بحلْمو، عمّي نجيبْ

فِ إيدو ريشا، بيكتبْ روايا، عن الحبيب
صوتكْ حنيني، يا فلسطيني، يا بو العلاما، على الجبينْ
إيَّاكْ تطاطي، لأيِّ واطي، على البواطي، إياكْ تلين
في كلِّ مطرحْ، أتركْ إشارا، في كلِّ نجما، للطيّبين
اشربْ حنينكْ، واتركُ قصايدْ، على الشواهدْ، في الجبَّاناتْ
مات الخليلي، عاش الخليلي، فْ خان الخليلي، عُمْر الخليلي
ما خانِ عَهْدو، عُمرو ما ماتْ.

عاصفة هندية حمراء

كانت عرجاء برِجْلٍ خشبية
فاتنةً ... ونديَّة
وأنا كنتُ بقلبٍ خشبيْ
أخشى أن تصبح حيَّة
لو كشفتْ داخلها الأيامْ.
أتذكرك الآن كحلم نبويْ
وأنا أجترُّ نبيذي البدويْ
في عاصمةٍ شقراء.
قلبي صار عيوناً جورية
تنجرح إذا خفقتْ في القلب، سُفوحْ
أما أنت فيا حَسْرة رأسي
صرتِ تراباً ورماداً في الريحْ
أو شجرة ليمونٍ زعراء ... شقيَّة.
الرجْلُ الخشبية
صارت غصنا في خشب الناعورة يبكي
أشواقاً ... وتباريح.
تبكي حُبّاً، فرَّ كماءٍ في الكفّينْ
عند الطاحونة في بستان الليمونْ
شعركِ أملسُ مثل شعاع أسودْ
مَرْخِيًّا كان كعاصفةٍ هندية !!!
* * *
غمْزة واحدة
مَن كريم القوامْ
تفكُّ قتيلاً سيُذبح بالمشنقة
سمعتُ على جسد الليل خطْواتها مارقة
تغازلني بالإشارة، والطقْطقة
نَتَعتْ صدرها، رَطْرَطْتُهُ كبندورةٍ من لهبْ
فارعاً كان نحو الأمامْ
فقلتُ: عليك السلام
أعوجاً كان، شدَّتْهُ ... حتى استقامْ
وبين عرائشه، عشش الوردُ، خَوْزَقتُهُ،
حيث باضتْ رفوفُ الحمامْ

كذلك حين اقتربتُ من الساحراتِ، اللواتي سعينَ مع الفجر،
كاد يفاجئني ... بانتقام
فأغفى على حجرٍ من نعاسٍ ... ونامْ
كذلك أغفيتُ من جهتي في صدى الطقطقة.
* * *
إيَّاك، تكرار التردّد في المُباحْ
إيّاكَ، تجريح القطوف
إيّاك فاتنةً لَهوف
إيّاك إيقاظ القرنفل في الصباح
قدّمْ لها شيئاً من الحلوى، وهَيِّئْها لمذبحةِ الغسَقْ
واسكن جفون عيونها حتى الأرقْ
من قبل تَجْليخ السيوفْ
من قبل نَقْر القارعات على الدفوفْ.
صدرسنة (1968)



قاع العالم



هذا البحرُ المأكولُ المذمومْ
منذ خرابِ مدائنهِ العامرةِ الأرجاءْ
قاعُ العالم هذا البحر الحيّ.
البحرُ الأخضرُ فوق سرير الموت الأحمر
أصفرْ
منذ رفيف فراشات الوعر المردومْ
قرب الزلزال الناريّ
يتلوه صهيلُ بنات الرومْ
ثمَّ مؤامرة الصمت البيضاءْ.
تتلوّى خاصرة العالم كالجنيَّة
الحيَّةُ بنتُ الحيَّة
السُحُب الزرقاء المنتشرةُ في البريَّة.
- حَدِّقْ في الأفق الغربيّ المرسومْ
حَدِّقْ في الملح الأسودْ
حدّق في رَوْث الماعزْ
حدّق في خبز التنّورْ
حدّق في العصفورْ
يلعب في رأس الجمل الرمليْ.
حدّقْ في المرجان الميّت في الحقل البورْ
حدّقْ في شَجَرات الملح الأخضرْ
حدّقْ في قرن الأيل المحفورْ
حدّق في فتنة كفّيها
حدّق في الجسد البلّورْ
حدّق في الشيح، وفي أغصان تواشيح القيْصومْ
حدّقْ في قنوات الغور، وفي الهيشْ
حدّقْ في الحلم المغدورْ
حدّق في هذا البحر المأكول المذمومْ

واسمعْ أصواتَ جنادبِ وادي الأردنِّ المقهورْ
ثمَّ اقرأ ْ زلزلة السورْ
اقرأ زلزلة السور.
- البحر النائِمُ في حضن فتاةٍ مقتولة
البحر المتمدّد في قلبي الوثنيْ
الضوءُ الطازجُ في قلبي، كسراج الغولة
البحر الآثمُ، ملحٌ أنقى من قهقهة الطفل الجنيّ
البحر المشدودُ كقوسٍ ... كهلام مرخيّ.
البحرُ الميّتُ فوق الطاولة الحجريَّة
البحر الكنعانـيّ
البحر الآرامـيّ
البحر السريانـيّ
معتكرُ الروح، ضفيرتهُ مبلولة
برذاذ الدمع البدويْ
بفُتات الحُرقة في الموّالْ.

- جئنا كيتامى، لنـزور البحر المجرورَ وراء الخيلْ
أيتها الراقصةُ المشلولة
حين تغنّين كدوريٍّ مسجونْ
بعد خراب الخشبةِ ... ينسلُّ المدعوّونْ.

- يا قاع العالمْ
يا قاع الكنعانيينْ
يا وقع خيول عمالقة جبال النورْ
نتوحّدُ في الليل على الكأس المكسورْ
كي نبكي قتلانا، ونبوسْ
جذرَ الكنعانيين الأسمرْ.

- يا جذع يَبوسْ
لحمي من خاصرة النهر الموعودْ
قلبي من صوت المُتنبّي، وحُداء البيدْ
بينهما بحرٌ من مطرٍ خامْ
بينهما نـهرٌ من صلة الأرحامْ
فلماذا نردمُ أشواق التوحيدْ.

- زَمَنٌ مقلوبٌ، كالبحر المقلوبْ
يا عَرَقَ العالم، يا حقل الليمون
يا إثم العالم، يا بحري الموجوعْ
اخلع عنك، لحاف التوتْ.

ارقص، ارقصْ لتتوبْ
قاع العالم معطوبْ!!!


قاع العالم مثقوبْ.!!!

تأشيرة خروج



أنا عاشقٌ من نبيذٍ وطينْ
أنا عاشقٌ خلف بابكِ، أشكو، ولا تعلمينْ
ألا ترحمين عذابي ... على شرفةٍ أنتظرْ
فضاؤكِ سجنٌ كبير، له شرفةٌ واحدة
تؤدي إلى بئر هذا الزمان الحزينْ
له دَرَجٌ أكحل القلب، يُفضي إلى صالةٍ من مَطَرْ
كأنَّكِ جِنِيَّةُ البحر، أوْ رعشةُ الياسمينْ
كأنَّكِ أسطورةُ الحالمينْ
كأنّكِ روحٌ على جُرحنا، شاهدةْ
أنا منذ خمسٍ أنوح
أنا قبل طوفان نوح
أجوب صحاريكِ، أسأل عن واحةٍ أو جزيرة.
سأرحل عنك غداً، فاسمعيني، اسمعي كلماتي الأخيرة:

- ولي في حدائقك الخُضْر، أعنابُ خمر، ونخلُ
ولي في مقاعدك الحجريَّةِ، شَهْدٌ، ولوزٌ وتينْ
مواعيدُ، فيك نسيتُ المواعيدَ،
لي فيكِ أهلُ.(1)
هجرتُ لياليكِ، كم أشعلتني لياليكِ،
ثمَّ القناديل، تسهر، حتى انبلاج الصباح
هجرتُ الهوامشَ، ثمَّ المُتونْ
أنا عاشقٌ من نبيذٍ وطينْ.

ولي في مقاهيكِ، صَحْبٌ إذا سكروا
أصبحوا سادةَ العالمينْ

وإن صَحْصَحوا، ذكروا مجدهمْ في السجون.
وفيكِ عشقتُ العيون التي خَضَّرتْ ساحة الجامعة
يُقسّمنَ بالعدلِ غمْزاتهنَّ على المؤمنينْ
أنا عاشقٌ من نبيذٍ وطينْ
أسخسخُ لو مَنحتْ قبلةً في الجبينْ.[2]
وفيكِ تشوّقتُ للنجمة الغالية
رأيتُ السناجبَ، ثمَّ لمحتكِ بُندقة في الغصونْ
تحومين كالصقر في ساحة العاشقين
وفيك تطلّعتُ للنار والدالية
رأيت الطحالب تأكلُ حيطانك العالية
وأكره صمتكِ، أكره منك الكلامْ.

وداعاً لريشْ.[3]
وداعاً لعمّي (نجيبْ).
وداعاً لرائحة الفلفل الطافحة.
وداعاً لآثارهمْ في (القناطر)، حيث يجاوبني
الماءُ بالنكتة الناضجة.
وداعاً لشيخ يدندنُ بالعود أغنية للشفاءْ.
وداعاً لرأس الحسينْ
وداعاً لساقيةٍ في الصعيدْ.
وداعاً لبارِ عتيق يُغازل رشرشة النهر،
في صيفها الأرجوانْ
وداعاً لحارس دار العلوم.[4]
وداعاً لفهرس دار الكتبْ.
وداعاً، (أماندا) التي رَسَمَتْ صورتي في الكتابْ
(أماندا) التي حفرتْ وحدها ساحل القلبِ،
ثمَّ أقامت مِسلّتها في الفضاءْ.
أماندا، التي كالندى في صباحٍ يطل على
البحر، جنيّةُ القلب، مجنونةٌ حين
تُقْبل نحوي، لتدهسني كالقطار
أموت شهيداً على ساعديك، أماندا التي
حين ترحلُ في مدن اللهِ، تَشهق روحي
على نجمة البحر، حتى أموتْ.[5]
وداعاً (كفافي)،
نقوشكِ في هدأة الليل، شمسٌ تعودْ
وداعاً وداعاً وداعاً ...
سأرحل عنكِ غداً، فاسمعيني، اسمعي كلماتي الأخيرة
أنا منذ خمسٍ أنوحْ
أنا قبل طوفان نوحْ
أعلّقُ هذي النصوص على (حائط الأزبكية) بعد المساء الأخير
ألوبُ صحاريكِ، أسأل عن واحةٍ أو جزيرة.
أنا عاشقٌ من نبيذٍ وطينْ

كأنّك لا تعلمينْ.

هوامش:
(1) طلعتُ
فوق السطوحْ
أودّعُ الأحبابْ
أمسكت شعري ... بكفّي
وجدته ... قد شابْ.
(2) يا عيون المسيحْ
في عيون أثينيّةٍ لا تبوح
بعد عامٍ أعودْ
لا تقولي ستنسى ولا تبخلي
في جفونكِ شفتُ الوعودْ.
(3) هامشٌ مركزيٌّ كجرسون ريشْ
حيث يوسفُ، ينسخُ تقريره بهدوء.
ثم يمطر طيبتهُ بسخاءْ
مخبراً كان من فئة الطيبينْ.
(4) كنتُ طفلاً يطارد سرب الفراشات بين الزحامْ
الكراسي العتيقةُ من قبل طوفان نوحْ
الحديقةُ من نرجس الضوء قبل الفطامْ
حيث خربشتُ روحي على خشب في
الصرُوحْ
ثم أمسكت – ليلى – وبلّلتُها بالشروح
دَرْعَميٌّ أنا في جبيني وسام
عليك السلامُ عليك السلام عيك السلامْ.
(5) كنت أطاردها من رأس التينِ
إلى قاع البحر.
ثم تطاردني كالجنيّة في غرفتها
لتريني عطر عتاقتها
أيتها المتوحشة الرعناء.
قتلتني فتنتُها
للإغريقيات دروبٌ في العشق الدمويْ.

الخروج من البحر الميّت



كعشب البراري أنا،
نديٌّ كتفاحة الغيم، أسبحُ في لُجَّةِ الكهرباءْ
حنونٌ كوحشة طفلٍ، رأى أمَّهُ الغائبة
تشعلق في ذيل ثوب الحزينةِ، فانكمش الأرجوانْ
على قبَّة الصدر، واندلع الأقحوانْ
على ساحل النهر، شفتُ طيوراً تنام.
رأيت قطيعاً من الحور، كدتُ أقولْ:
نساءُ أثينا اغتسلن على العين مثل العناقيدِ،
قرب غيوم الصباح
ركضن إلى طاولات المصيفِ،
اقتلعنَ الأسى من جبين الكلام.
ولم يكن البحر منتبهاً لأغاني الحمام
رأيتُ المدى زرقةً مثل فتنةٍ راعيةٍ،
في سهول الشآمَ.
تلاحق أغنامها الشاردات من الطخِّ،
بين الصخورْ
فراشاتُ قلبي، حصى الماء في الليل،
بِلِلهُنَّ الحبورْ
رَماهُنَّ سيلٌ إلى الرمل قبل الهجير
توسَّدْنَ ساقيةً، ثمَّ ناغشن سرب يمام
توسَّدن بحَّة هذا المغنّي الجريح
أراهُنَّ قرب نجيل المساء
يُبايعن غزلانَ بريَّة الله / ثمَّ جلسن هنا /
على شاطئ البحر مثل زجاج الخليل.

كعُشب البراري أنا،
كوديانك المعشبات، موشَّحةً بالدماءْ
كوجهكِ لو كنتِ ناطورةً للكرومْ
كعصفورةٍ في السواقي تحومْ
أراني أطاردُ رائحة القافية
أراني كنقشٍ قديمْ
أغربل شمسي على التلِّ، علَّ الغيومْ
تُطاوعني مثل أرنبةٍ من بياضْ
أسافر في سفن الملح نحو الرمادْ

إلى طبقات الرخام
أسافر في قارب الرحم نحو السدودْ
أغطي شجيرات هذا الرصيف الأنيقْ
سأحلم يا لعنة اللّذة النائمة
وأنت مُلَوَّحَةُ الخدّ، سمراء، عاريةُ الرأس،
مفتولةُ الشَعْرِ
تجرين تحت السماءْ
كأنكِ سلطانةُ البحر، جمرةُ هذا الفراقْ
تبوسينَ أقدام هذا القتيلْ.
سمعتكِ قبل انحسار الغيوم، وقبل جفاف العيونْ
سمعتكِ قبل خروج الظباء من الوكر في الفجر
في الصخر، عند مسيل المياه
يُراقبن من هامش الليل، زلزالَ هذي المتون.

رحيلك،
لا، لن يكونْ
رحيلك كالبحر كالشمس مثل رحيل المطر
تعودين عبر الشرايين قبل أفول القمر
تعودين مثل الحمام إلى بيتك الأخضر الأبديّ
وبين جزائر هذا الزمان الخؤونْ
تقيمين عُرساً لأبنائك الطّيبينْ
تقيمين عرساً لأبنائك السُمْر، جاءوكِ
من صخر هذي الجبال الصَبيَّة قبل هبوط السكونْ.
رحيلك، لا لن يكونْ
ولن يأكل البحر أطرافك الحجريَّة، والمصطبة
سأحلم يا لغة الأولين.

سأحلم يا أيّها الأكحل البدويُّ الصديقْ
سأحلبُ نهد صنوبرةٍ رائعة
سأشرب نبعاً بكامله،كي أفيقْ
من الغفوة المُرعبة
فبَيّضْ سَمارِكَ بامرأةٍ متعبهْ
وجَهِّزْ لكنعانَ بيرقه بعد هذا الرقاد العتيقْ
ليشعل ألوانه الأربعة.

- اللون الأزرق ... لا
إلاّ إن كان الأزرق مفتوناً بالفتنة في الأسواقْ
اللون الأحمر ... لا
إلاّ إن كان الأحمر قرميداً أو حجراً
في طين الأعماقْ
اللون الأسود ... لا
إلاّ إن كان حريقاً لفتات البركانْ

لستُ الصَّدفة، حتى أصبغ وجهي بالألوان.
طينةُ وجهي من حجر الصوّان الأسود في الوديانْ
شلالاتُ شراييني مرجانْ
الشعر النابت في صدري،
في صدغي في الساعدْ
فلقد أعلنت على رأس الشاهدْ،
ملعونٌ من يسمع قهقهة الجانْ.
هل تعرفني يا هذا
إني من هذا الرمل الأصفر
إني من هذا الطين الأحمر
في هذا البحر الميت أحيا كالدوريّ البدويّ العطشانْ
أشربُ كأسَ نبيذي من وجع الدالية الشقراءْ
أعصرها، أستنشق عطر الأجدادْ
أتمزمز بالليمون مع الحجل المشويّ.
في غابة بلّوط تتراكض فيها غزلانٌ ووعولْ
أرسم ألوان حبيبي المعلومْ
قلبي من هذا البحر الولهانْ.

- اللون الأزرق ... لا
اللون الأحمر ... لا
اللون الأخضر ... لا
تلك مفاتيح الشِعْر المغمورْ.
في قاع البحر الظمآنْ
سأعيد العاصفة النائمة على صمت مكاتبها
ألقيها في خطّ النار
كيما تتحرر من أسر العارْ
لن أصبغ وجهي بالألوان المختلطة،
حتى لا يدهمني طيرُ الورْوارْ
وجهي من هذا البحر المخمور
قلبي من هذا الزمن السكرانْ
الأبيض لوني – إن عُدت وحيداً كالنجمة
أو عدت كبفت الموتى
سأكون وحيداً في شُرُفات مطارات المنفى
سأعيد إلى الألوان، ربيع الألوانْ
يا سينات الحلم، ويا الوعد المقهور.

- العالم يبدأ من إشراقة قلبي:
(بردى) سوف يصبُّ قليلاً من دمه في كأس اليرموكْ.
النهر المنشطر الروح يصبُّ قليلاً من مطر الصيفِ،
على بئر السبع العطشانْ.
البحر الميّت، سوف يرشّ الملح على مائدة الشام.
القدسُ تصاهر بيروتْ.

بيروتُ توزع بسمات تسامحها في كَرْكوكْ.
شجر الغوطة يرقص مُنْتَشِيًا في عمّانْ
تلك التفعيلةُ من قصَبٍ،
ولها صوتٌ رنّانْ
طعمُ عصير الرمَّانْ
أما فعلنْ، فانظُرْ في شعر فسائلها
تتناسل ألواناً خلف الألوان.
مريمُ تنتشر قلائدَ من صَدَفٍ حول الأعناق.
ثمَّ توحّدُنا ألوان الروحْ
مشروخٌ قلبي،
الضِلْعُ كسيرٌ،
الصمتُ ندوبٌ وجروحْ.

- ولكنني ساطعٌ مثل عشب السطوحْ
وإن جعتُ ... لكنني لا أبوحْ
سوى للجبال التي أشعلتْ نارها
وللموج للرمل يا سيّدي يا تراب
كعشب السطوح أنا،
ولكنني ... لا أبوح.

- تقول البراري
إلى مطلع الفجر، وهي تقولْ
أتيتكِ ... لو تسمعين العويلْ
عويلَ المدائنِ غارقةً في صهيل الخيولْ
أتيتك في النوم – طيفاً عزيزاً عليك،
ولو في المنام، أجيءْ
أزور الأحبة في الحلم كالحلم، أقرع باب الذهولْ
وقالت وقالت وقالتْ
إلى مطلع الفجر، وهي تقولْ
بكت عندها، وحكت أنّها، قد رأتْ أهلها الغائبينْ.
ولم ترتشف شفطة من حليب الأرقْ:
ينام وحيداً، ويصحو وحيداً، ويبكي وحيداً،
يقهقهه من فرط غربته، ليشدَّ الجناحْ
وتبكي الخرائب من صحوةٍ كالرقادْ
أتيتك في ليلةٍ مُرَّةٍ كاحتراق الفراقْ
وكنت أقصّ عليك حكايا المدائن بعد الغَرَقْ
وأحكي عن الشجر المحترقْ
يعانق نرجسة النبع بعد العناقْ.
وعن قمر الشام كان مُحاقا،
فصار زُقاقاً، فدربا ... وصار طريقا
ولمّا بلوتُ الليالي رماني
إلى جزر الصمت فجراً،

وصرت زماناً لقيطا.
وقال: أعود سحاباً وخمراً وخبزاً لكمْ في الشروقْ
أعود لكم في عروق الصخور.
- إذن صرتُ طفلاً عجوزاً يسابق حكمتك البكر،
فوق الحصانْ
إذن صرتُ شمساً ترى قاع بحر الأمانْ
إذنْ صرت فوق جبينكِ تاجْ.

كقطيع الغنمات البيض المذعورات من الذئب المذعورْ.
يتوالى الزَّبَدُ الأبيضُ، موجاتٍ من صحْوٍ، يعلو
موجاتٍ، تهبط أو تتوارى أو تنعسُ مثلَ
يماماتٍ خلف الصخر الوهّاجْ
كنّا نتسلّق أعمدة الضوء البحرية
ونرشُّ الملح على الموتى، نخلطه بسناج
قيل لنا: إنَّ العاصفة الغربية
ستجيء لتحرس أطراف البحر الشرقيْ
لكنَّ المدن الغارقة الفضيّة
شَقَحتْ نجماتِ الأهل بسكين
الريح الشرقية غضبتْ
قلَبَتْ سفن الصيادينْ
فوق الشطآن الصخرية.
غضب الرملُ، وفَنْخَرتِ الخيلُ، وثار عجاجْ
قالت أمي: بعد خروج الموتى يا كرم الزيتونْ
من هذي المدن الصامتة العزلاءْ
قالت: يأتون من الريح، يجيئونْ
لكنْ، سأمطُّ شفاهي أيتها الأمواجْ.

بكينا طويلاً، ولم يبك أعداؤنا مرَّةً واحدةْ!!
تقولون: قد شرَّقوا، غرَّبوا، قبَّلوا يا حمامْ
وشمّوا رياح الشمال، وكانت كغربتنا الباردة.
مواويل أمّي على تلّةٍ موحشة
تعاند قسوة ما حدث البارحة
إذا دشَّروا تينهم في الصباح، يكون التسوُّلُ
كالشاهدةْ.
وماتوا على صخرةٍ بين بُصرى وبيروت،
ماتوا على حجر مقمر، عشقته النساءْ
نجوم النوى تستغيث ورُمّانُها والخيامْ
بكت حوله في الدُجى، فاتناتُ الكلامْ
بكينا طويلاً ولم يبكِ أعداؤنا مرَّةً واحدة.!!!

- لقد جئتكمْ – في دمي شهوةٌ للغناءْ
لأعزف هذي التلالْ

ولملمتُ قبل مجيئي إليكمْ
خرائط للمدن الغارقاتْ
حملتُ لكم من رمال الجزيرةِ، قمحاً،
وكوفيةً وعقالْ
حملت لكم من كتاب الأماني، عِظاتْ
ومن جبل الشام هذا القرنفل والثلج والياسمين
رأيت أبي في خليج الشمال، يبيع الأسى للشمالْ
يغني لغزلانك الشارداتِ، قصائدَ عشقٍ حزينْ
يطارد وعلاً من الملح خلف السدودْ
ويقتلع المرمر البكر في غابة من حديدْ.
وجدّي،
إذا كنتُمُ تذكرون الذي صاغ وهْج الحروفْ
ووزّع في العالمين اللغاتْ
وفي شاطئ النيل، ذقتُ اسمرار خدود البناتْ
فقلت إذا احمرَّ خدُّ البُنيّةِ هاجتْ جموعُ الرجال
لقد قلت يا سيدي ما يقالْ
وما لا يقالْ
ولم يبق إلاّ نقوش الخرائب والمدن النائمات
فماذا تقول
وماذا أقول
وماذا نقول
أنا أعرف البئر – يا سيّدي – والغطاء.
- ها أنذا قُدَّامك أهذي وأشير إلى اللوح المحفوظْ
العالمُ بين يديّ حظوظ
وسأحكي عن وطن يأتيني في منتصف النومْ
يصرخ بي: يا مولانا: أين القومْ؟!
قلت له: بالأمس ظعائنهمْ عادت من بحر الملحْ
حاملةً عطر العذراء
ناسيةً جسد العذراء.

- لأنّكَ كنتَ كثير الكلام، كثير السكوتْ
إذن تركوني هنا في مدائن هذا البياض الرماديّ،
أشكو موانئها، ثم أعشاشَ وقواقها، بانتظار النعوشْ
إذن صرت مثل التماثيل منقوشةً في القبورْ.
- لماذا إذاً حاصروني، لماذا أدورْ
وكيف إذا جوَّعوني، أثور!!
- لأنك تهرب من قدَرٍ أعرج ... لا يموتْ
لأنَّ البلاء إذا عمَّ نامتْ عيونُ المدائن تحت المياه
لأنك كنت كثيرَ الكلام كثير السكوتْ.
- لذا ستظلّ هنا في المقابر، تحت البحار التي لا تعيش
نعم وتموت هنا، قبل يوم الخروج، وقبل قدوم الجيوش.
- إذن تركوني هنا، مثل راعٍ وحيدْ

يحوم ويسأل عن ظلّ أشجارك الباسقة.
يحوم ويسأل في الظلّ طيراً عن النجمة الشاعرة
يحوم ويسأل ... لا تسأل الكاهنة
إذن تركوني أغازل شمس النهار
هنا مثل عشب السطوح
ولكنني لا أبوح.

- حدّقْ في صمت التطريز على الإفريزْ
الموجةُ سلسالٌ ذهبيٌّ تجري خلف الموجة.
فاتنة من عنب تغزل مكبوتَ الأشواق الناريَّة
خلف الجفنين المرسومين ذُنوبٌ وذنوبْ
شُبَّاكٌ مفتوحٌ وجبالُ الملح تذوبُ تذوبْ.
- أسمعُ طقطقة الأوهام على بالي / وعواء امرأةٍ في
جوف البحر / عمودٌ من ملح، ثم يغيب.

خرج الشاعر مجروحاً من قلب الموّال
يا أهلَ الأرض أفيقوا من هذا النوم المُزْمنْ
لكن الناس اندمجوا في التطبيلْ
حيث انتصر البركان الأرعنْ.

من خاصرة البحر الشرقيّ يكونُ الأردنْ
ومن البحر الغربيِّ تكونْ فلسطينْ
مع هذا يلتقيانْ.
يا هذا، إنْ نادانا
جَدُّكَ، أوْ جَدّي: (كنعانْ).

توقيمات

رجعتُ من المنفى
في كفّي خُفُّ حُنَيْنْ
حين وصلتُ إلى المنفى الثاني
سرقوا منّي الخُفّيْنْ.

- 2 -
أنت أمير !!!
أنا أمير !!!
فمن تُرى يقود هذا الفيلق الكبير !!!

- 3 -
قُلْ ما عندك عن هذي الورطة
قبل وصول الشرطة
الكاذب منّا سوف يموتْ
مدهوساً في الشارع كالقطة.

ثمّ نُسجّلُ في قائمة الأيتام بنيكْ
القاتلُ أوّلُ من يرثيكْ
في صحف تملكها الشرطة
بطلاً بالألوان على رأسك حطّة.

- 4 -

شربوا قبل طلوع الفجرْ
رقصوا قبل جفاف البحرْ
تركوا نار ضمائرهمْ
قبل صعود الجبل الأحمر، قبل بلوغ النهرْ
ماتوا لم يسأل أحدٌ ... حتى الحُرّاس.
كتبوا فوق القبرْ:
ماتوا قبل بلوغ النهرْ !!!

- 5 -

مات صديقي في زمن فاتْ
لكنَّ الشرطة في الأزَماتْ
تسأل عنه - البيتْ
أأنا مجنونٌ، أمْ هذا الوغدُ، يُسجّلُ صوتَ البصْماتْ
أمْ صمتُ الشاعر، أم أنت !!!

- 6 -

زرعوا الأحجار السوداء
أكلوا ذهَبَ الغيّابْ
وزرعنا عنبا ... وهضابْ
فلقينا موتَ الأحبابْ.

- 7 -

رصاصهمْ فوقي
وملء حلقي الماءْ.
في حارة الأرمنْ
وقفت كالأرعَنْ
أغازل النساء.

- 8 -

أبحرنا في المنفى ... والمنفى قفرٌ ملغومْ
البحر ينادينا، والشطّ الصخريُّ المعلومْ
يتخلخلُ قلبي لصهيل الروم
ووراء الروم، الرومُ ... الرومْ
فلأيّ الطعنات توجه وجهك يا مهزومْ
وبأيّ الساحات تحومْ!!!
بدلتك الحيّةُ رقطاءُ الظهرْ

ووصولك للبحر، أكيدٌ محتوم
ما زالت عكا واقفة، رغم هدير البحرْ
رغم بلوغك سنّ الغربة والقهر.

- 9 -
أمُرُّ على الدروب ... فتزدريني
ويطلُبني المقوقسُ للمحاكمْ
وأبكي حين أذكر أهل بيتي
فقد تركوا النجوم مع السوائم.

- 10 -
كلّمني يا مولاي الفارسْ
حتى أحظى بالرؤية حين نموتْ
قبل تمام الفعل الناقصْ.

- 11 -
أبْحَرُ أقوالكَ في كل مساء أسبحُها
هَل أذبح نفسي
أم أذبح نفسي
أم أذبحها !!!

- 12 -
تحت شجر الدَرْدارْ
شوّقتكِ للدارْ
تحت غصون النِّبْ
شوقتكِ للحبْ
تحت رفيف الدوْحْ
شوقتكِ للبوْحْ
فمتى أضفر فوق جبينكِ يا غاليتي
إكليلَ الغار ؟!!

- 13 -
أتسكع في الشارع، حتى يطردني الليلْ
حتى يدهمني الخبر المُرْ
أوشك أن ألقي جسدي في النهر
أقرأ (صمت البحر)[1]
أتراجع عن موتي.

- 14 -
يا صاحبة الهودجْ

---

1 صمت البحر : عنوان رواية للكاتب الفرنسي ڤر كور .

أمّي عرجاءْ
وأبي أعرجْ
وأنا أضحك من حزني.

- 15 -
يصدأ قلبي خلف زجاج الخمّارة في الشامْ
أتصفّحُ فتنتها،
القدّ الأفعى،
الوجه البلّورْ،
الشعر المنعوفْ،
تتآكلُ طقطقة الكعب على خَدِّ رصيفْ
أركض نحو الباب الأخضر كالملهوفْ
وأعود فقد رَحلَتْ،
لأحدّق في وجه (أبي معروفْ)
وأظل على طاولة المنفى، حتى
حتى يطردني عمّالُ التنظيف.!!!

- 16 -
رحل الأحبابُ بقيتُ هنا وحدي
صِرتُ يتيما كالنخلة في الصحراء.

- 17 -
تختلط الظلمة بالنور
في هذا الوطن المخمور.
مع هذا يا حبَّة عيني
قلبكِ محفورٌ في السور.

- 18 -
أتيتك من سفري في البلادْ
وجوعي على باب أحرارها
مدائنُ نامتْ بنوم الرؤوسْ
وقلبي على نار ثوّارها.

- 19 -
علّمنا زماننا الخَوُونْ
علّمنا إذا أردنا ... أن نكونْ
علّمنا،
أن ندفع المبلغ خِلسة، وأنَّ ما
تدفعه الشِمالُ ... لا تدري به اليمين.

-20-
تصفّحتُ بعضَ النساءِ، وقلّبتُهنَّ
على تمرةٍ، جمرةٍ، مثل عرجون هذا النخيلْ

وقلتُ: يجيءُ زمانٌ لأغصاننا، كي تميلْ
فنصدأ، رغم النبيذ العتيق، وترتفع الألسنة
نُغرّدُ يا هذه، رُبّما مرَّةً في السَّنَة
فأسرجْ حصانكَ، لا تُضع الوقتَ في سَبَخاتِ العويلْ
لذيذٌ هو البحر، يا أيُّها العاشقُ المستحيلْ
تُحطّمُ بابَ الخلود، وتخترقُ الدَرْدَنيلْ.

أضاعوني

مضت سنتان ... قالت جدّتي وبكتْ
وأعمامي،
يهزّون المنابر، آهِ ما ارتجّوا،
ولا ارتاعوا
مضت سنتان،
قال الشاعر المنفيُّ، حين بكى:
"أضاعوني
وأيَّ فتى، أضاعوا". (1)
مضت سنتان ... أرضُ الروم واسعة ... وَجَدّي
دائماً عاثرْ
وسوق عُكاظ فيها الشاعر الصعلوكْ
وفيها الشاعر المملوكْ
وفيها الشاعرُ – الشاعرْ.
وأعمامي،
يقولون القصائد من عيون الشعرْ
وأمي،
مُهرةٌ شهباء تصهل قبل خيط الفجرْ
تفُكُّ هنا ضفائرها،
وتلبس ثوبها الأسودْ
وأمّي تقرأ الأشعار في الأسواقْ
وفي الغابات عند تجمّع الأنهُرْ
وأمّي أنجبت طفلاً، له وَشْمان، يشبهني
فأنكر كلُّ أعمامي، وراحوا ينشُدون الفَخرْ
وراحوا يشترون القول بالميزانْ
وأمي أنْجبتْ طفلاً، له جرحانْ
فما ارتَجّوا ... ولا ارتاعوا
وكان الطفل يُنشِدهم قصيدته:
"أضاعوني، وأيَّ فتىً أضاعوا".
عرّجتُ صوب مدائن النوم الكسيحة أستغيثْ
الكلُّ أقسم أن ينامْ
قدَمٌ على قدمٍ ومثلُك لا ينامْ
حجرٌ هو المنفى وصوّان وشوك من رخامْ
بيني وبينكِ بعضُ ما هتف الحمامْ

أمّا زمانُ الآخرينَ ... هو الكريهْ
يا أيُّها الطلّلُ الهُمامْ.
يا هذه المدن السفيهة، إنني الولد السفيه
لو كنتُ أعرف أنَّ نارك دون زيتْ
لو كنتُ أعرف أنَّ مجدك من زجاج،
ما أتيتْ
أنتِ التي خلّيتني قمراً طريداً دون بيتْ
يا هذه المدن السفيهة، عندك الخبر اليقينْ
أنَّ الذين أتيتُهمْ صبغوا الوجوهْ،
وتلفّعوا بالصمت في ذاك البلدْ
وأنا أريد بني أسدْ
قتلوا أبي، واستأسدوا
ما عاد ينهرهم سوى الخيل الضوامر والسيوف
يا هذه المدن السفيهة يا مقابر يا فجاجْ
أسقيتني ملحاً أجاجْ
والزهو قد موّهتهِ ... وولغتِ فيهْ
بيني وبينك خيط وُدٍّ، فاقطعيه، اقطعيهِ،
اقطعيهْ.
طُفْتُ المدائن: بعضهمْ قذف القصائدَ
من عيون الشعر،
يرثي والدي
والآخرون تنكروا: اذهبْ وربّك قاتلا [2]
وكأنّهم ما مرّغوا
تلك الذقونَ
على فُتات موائدي
"والله لا يذهب مُلكي باطلا" [3]
والله لا يذهب ملكي باطلا
وبكى حصاني، فارتميت من التَّعَبْ
وسمعتُ والينا يقول، وعينُهُ
فيها القذى:
"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى" [4]
حتى تُقال على مسامعه الخُطبْ
حتى تقال على مسامعه الخطب.

برقيّات دمويّة

---

1 الشاعر العرجي 2 القرآن الكريم 3 امرؤ القيس 4 المتنبي .



سلاماً، آهِ، يا أبتاهُ، إنْ تعبوا
فلن أتعبْ
وإنْ ذهبوا إلى أعدائهمْ، خوفاً،
فلن أذهبْ.
بكيتُ على مشارفها البعيدة، حين نام الناسْ
وأبكيتُ البيوت البيض من حولي،
فضجَّ قرنفل الحيطانْ:
تسامق نحو روح الروح، سارت زفَّةُ النسوانْ
هديراً من نعاس الرمل خلفي، يجرح الركبان
يغنّين القتيل الصعب، موّالاً جريح الراس.
وسرتُ مهشّم القدمين فوق الشوكِ،
مأسوراً من الحرّاس.
كم انتثرتْ مودّتنا، ووزّعنا قلوباً في رسائلنا
على الأيامْ
سياجاً للمدى تبقين، رغم تحاسد الجُلاَّسْ.
سأنْشد نَزْف موّالي
أسيرُ – كوردةٍ خُلعت – أسيراً
باسقَ الإحساس.
بياضاً كان وجهك يا مدينتنا ... بكى يأسا.
كأجنحة الحمام على سطوح الدورْ
صفاء الروح مثل دموعك البلّور
دعي الأحزان، هذا اليوم يومك، فارفعي الرأسا.
دعيه يطاول الزرقاء، يجلو كلَّ ما فيها
وسمّي كل شيء باسمه، فالكاس ما عادت لنا كأسا.
سأركب مهرتي الشهباء
لأمتشق الحسام، وأنصب التُرسا.
ولكنّي ...
سأرحل عن منازلَ، أنت سيّدها وحاميها.

مشينا في دروب الشوك والزّقوم،
في الصحراء، في الزرقاء، في المركبْ
وهذي دربنا الأولى:
تُعيد الحُرَّ ... مغلولا
تصدّ، ولا تردّ الغائب المتعبْ.
وهذي دربنا الأخرى:
نعيش بها عبيداً نرتضي بالجَوْرْ.
تقول لنا بأن نحيا ... بلا ... شفةٍ
ندور كما يدور الثورْ.
وهذا دربنا الثالث:
يقود إلى جزيرتنا البعيدة، حيث تسكنها
الشياطين الشتائية
لتسرق خاتمي في الليل جِنيَّة
لأصرخَ يا علاء الدين،
أين السرُّ، ضاع السرُّ،
كيف أفكُّ هذا الطّلْسَمَ المأسورْ.
ولا شبّيك، لا لبّيك، فاسمع صرخة المقهور.
فقد أوشكت يا أبتاه أن أغْضَبْ
إلى الحدِّ الذي لا يرهَبُ السكّينْ
قبائلنا على الحيطان تنشدُ خطبة التسليمْ
سلاماً آهِ يا أبتاه، إن تعبوا، فلن أتعب.

مصطفى البدوي

إذا قيل إنَّ السماء ارتكت كالعجوز على طرق السابلة
رأيناه، يحسم بالخنجر المسألة
إذا قيل إنَّ دمشقَ القديمة كانت حريراً
من التوت، في غوطة المرتفع.
وإنَّ دمشقَ نساءٌ تنامُ على خشب الوردِ،
قرب القرنفل والياسمينْ
وإنَّ السيوفَ العتيقة قد صدأت في حلبْ
رأيناه، يشهر في وجهنا كومة الأسئلة.
ألا من رأى مصطفى البدويّ، يغني لأشجاره اليابسة
ألا من رآه، يبيع القصائد في الحانة البائسة
فإن لم نغضّ الجناح إلى الصمتِ، يُلقمنا
كومة من حديدْ.
رأيناه يقنع أحبابه بالوعيد
وقد يسحب الخنجر اليمنيَّ البريق، لكي نَقْتَنِعْ.
رأيناه لما سباه الكلام عن القدس،
قال كلاماً حنوناً،
فأشعل كأسين، حاذَرَ كي لا يَقعْ.
ألا من رأى مصطفى البدويّ يُقبّل أيدي
النساء – النساءْ

ألا من رآه ينام على الأرصفة
وينفث في الموسمات الحِساءْ
ويحكي لهنّ عن القمح والأرغفة.
ألا من رأى مصطفى البدويّ، ألا من رآه !!!
فقد كان – رغم المشيب – حبيبَ الحياة
ألا من رأى مصطفى البدويّ، ألا من رآه !!!
* * *
بعد أن مات، عادْ
ساخراً من قصائدنا في الرثاءْ
قمتُ قابلتُهُ بالوعيدْ
اليمامةُ ترقبنا نجمةً من بعيد
كيف حالك يا أيها الوغد، كيف القبورْ !!!
قال مثل ثمودٍ ... وعادْ
ثم أمسك كأسين ... عَبَّهما دفعة واحدة
يا يمامةُ دُقي على العودِ،
هُزِّي التواشيح في المنحدرْ.
قمتُ جرجرته، لنغازل سوزان تحت المطر
قام هدَّدني، أنَّه سيموت
إنْ خطفتكِ سوزان وحدي / يموتْ.

مواصلات إلى جسد الأرض

تحدثت عن وطني وأنا أشرب الصمتَ من شفتيكِ،
عصير المودّة، ثمَّ تقوقعتُ في ردفكِ الأيمن المستباح.
تعلمتُ منك الفلاحة في التربة البكْر،
منكِ تعلمتُ كيف أغوص لبئر الوصولْ
لأدفع زهو شبابي على شاطئيكِ،
رأيت الطحالب والسرخس الأخضرَ الثائر،
النافر الهائج من جرأتي في الدخولْ.
رعيتُ شفاهك مثل حصان البراري،
عدوتُ على سفحكِ المتموّج مثل مياه الهطول.
وكانت جبالك تمشي، وتصرخ مثل المصابيح،
لو حرّكتها الرياح
نفرتِ، تلفّعتِ بالصمتِ، قُلتِ: استرحتُ،
شهقتِ، شهقتُ، كأنّكِ عشتارُ قد أورثتني
شقاءَ الحقولْ.
رأيت الجبال تموت، رأيت السيولْ
رأيت الطحالب تهمد، متنا، هَمَدْنا
تصحّر قلبك نقشاً من الملح قرب الخليل
قُبيل شروق الصباح.
تحدثتُ عن وطني وأنا رابضٌ في عروقكِ
في ردفك الأيسر المُستباح
سلاماً إلى غازلات النسيجْ
سلاماً إلى راعيات الجمالِ.

محاورات الباب العالي

لترسمَ صورة قلبي ودقاته بعد كل قصيدة
تترجمُ لي فقرةً من جريدة
كذلك تسألني عن بلادٍ بعيدة
وعن شاعر مات في الجاهلية
وعن شاعر (لا أقول اسمه الآن)،
عاش فقيراً، وما زال يكتب شعراً،
ويشرب قهوته في فِناء الغيومْ.
كذلك عن شاعر في المقاهي يحوم
وعن شاعر عشقته النجوم
وعن صوت فيروز، إن كان يكفي لصدّ الهجوم !!!

- جئتك من أقصى جبل في الشام
لا أملك إلاّ ما يملكه أمثالي:
قمراً، نخلاً مزهواً ... وكرومْ
ثم ّ حمامات فوق السطح تحوم.
لكنّي لما جئتك ... كنت طريَّ العود.
أزحف كالنملةِ، أخطف حبَّة قمحي،
أتسلّلُ كالحزن الأصفر كالقط النمرودْ.
أخضرُّ كما تخضرُّ شطوط الجُزُر الأخرى
في العالمْ
ضحكتْ شفتاك وكنت بشوشاً،
ثم جلستُ أحدّث نفسي،
عن طيبتك العليا: كالحالمْ
لكن يا مولايْ
ألقيتَ الحجر على رأسي وأنا نائمْ.
طرقتْ بابي أقدام الصبيان وقالوا:
النرجس يهواكْ
وضحكتُ على نفسي، لمّا شفتك تهمس في أذني:
كم تعشق شعري
وتحب المتنبي والأخطل والشعر العذري
العرجي والملك الضلّيلْ.!!!
منذ رأيتك في أقصى جبل في الشام
الغور أمامي مرسوم، وصهيل مَهاري الروم
أمسكُ قاع العالم، جذر العالم، خاصرة العالمِ،
أعني وَجَعي المعلومْ
أعني أشجار الموز، وأعني قاع أريحا،
همس الأجداد، إذا هبّت عاصفة النارنجْ
أعني قنديل الزيتون الرومي.
أمّا سيّدتي القدس المسكونة بالروح
فاسألني، واسأل عهدتها العمريَّة

واسأل أجراس كنائسها عن باب الواد
حاذر يا هذا ... بردى في قلبي.

- ولم أتكلم عن الخبز والخوف ... ما قلت شيئاً
سوى أنني عاشقٌ من عنبْ
أحبُّ هديل الحمامِ على المرتفعْ
ولم أتكلّم عن الأرجوان وهمس المطر
أرى قبل أن يُقبل المنتظر
كسيفِ رخامٍ صقيلْ
أواجهُ يا قاتلي غول هذا الرحيل.

- وعلى أغصان الرمّانْ
علّقنا أعواد الذكرى
ونقشنا فوق صخور بيضاء
أسماء المرجئة، وأسماء الديناصوراتْ
من جعلوا قدمي في المنفى
من خلعوا عينك يا زرقاءْ
إن كنت نسيتك، فلتأكلني حيتان البحر
ولساني يُقطع، إنْ كنت نسيتك يا سيّدة المدن الخضراء.
- وقف عدوّي في وجهي
أخبرني أنَّ زمان الشعر مضى.
- أحبّ غناء العذارى على نبع ماء
وأهوى شَفيفَ ثياب البنات
وصوتَ البراكين، إنْ كان يا سيّدي، عربيَّ السمات
أحبُّ رفيف السنابل في المنحدر
أحبُّ جدائل مريام، أسوارَها العالية
أحب الشرائط فوق ضفائرها اللولبيّةِ في المدرسة
وأشتاقها الفجر عند هطول الندى في الجرار
كصفصافةٍ،
نبتت في حواف البحار
كعصفورة تنبش الأرض، تهتف: أين البذار!!
أحبّ فروتا وأشتاقها،
مثلما العيس تشتاق ماء الغدير
وأشتاقها مثل نهر يسافر في سالفات الدهور
إلى طللٍ أسمرِ مقفرٍ مثل منفى الأبيْ
إلى حجر شاله ذات يوم نبيْ.
وأشتاقها أيها الأزرق المخمليُّ البهيجْ
أحبّك يا خضرة النخل في واحة مالحة
أحبك حيث تكونين قبل الربيع الأخير
تكونين مأوى الطيور التي هاجرت من بعيدْ
أحبك سرب مهاً في فجاج الصخورْ
تغنّين للماء والرمل والقافلة

كأنّكِ في كرنفالٍ، ألا ترقصين !!!
- اعتدلت قامته، أطفأ سيجارته في قدح القهوة
لعن الذكرى والساعة والأحلامْ
وبكى مثلي، ثمَّ تسمَّر في جلسته، لم ينبس إلاّ بالصمتْ
قلت: علامات الصوفية والقادة والوزراءْ
إن قالوا: فعلوا
أو صمتوا: قتلوا
أو حنّوا للكاس، اشتعلوا
حوقل – قالت أمي إنّ المرء إذا حوقل حاصره الوجد الصوفـيّ
- في أي منظّمةٍ أنت؟!!
- عضوٌ في بيت الشعر المنثورْ
- عضوٌ في قاع منظَّمة التحريرْ.
- أتيتكَ في داخلي نيَّة للرحيلْ
سأشكوك للأرض، ثورتها قد تطول
سآتيك قبل الرحيل وبعد الرحيل
تماماً كما نلتقي فجأةً في الطريقْ
سآتيك في الثمر المحترقْ
سآتيك كابوسَ رعبٍ يدقُّ العُنُقْ
سآتيك من جبل الشام من باكيات الطلولْ
فبحلقْ عيونك ... خوفي هو المستحيل.
البلاد طلبتْ أهلها
الأغاني التي أنجبتها خطايْ
سقطتْ في الكهوف
يا رنين السيوف.

-2-
صوتُنا كالينابيع إنْ جلجلتْ
في عروق الصخور
أورق العشب فوق السفوح
صوتُنا مثل طوفان نوح
جنّة ... ونعيم
صوتُنا كامتداد اللظى في الجحيم
صوتُنا واحدٌ عندما ينهمر
أمُّنا سمحةٌ كالسماءْ
وأبي عاصفٌ غاضبٌ ومطرْ
والذي بيننا
كلماتٌ تقال فتكبر ثمّ تروح
والذي بيننا،
حبَّةٌ كبّروها فصارت قُروحاً وراء القروحْ
مرّةً يحدث الارتخاء
إنما دمنا ليس ماء
دمنا ليس ماء.

-3-
الأماني التي صغتُها في الصبا
ضيّعتها الدروب
يا زمان الحروب.

-4-
يا خيول الجبال التي لا تنام
يا كروم المطر
أنت لي مهرةٌ كالقمر
أنت لي فرسٌ جامح في المروج
يا خيول الجبال التي لا تلين
يا خيول القرى في غبار الغجر
كلّهمْ باطلٌ في البلاد التي تحلمين
الليالي، هنا علّمتني السهر
الليالي، هنا علّمتني الحنين
يا خيول الجبال التي لا تلين
كلّهُم باطلٌ في البلاد التي تحلمين.

-5-
يا حمام العُلا
يا حمام البروج
كيف حال القرى بعدنا
وزمانُ تراشقنا بالثلوج.

-6-
لو تدعني أكلّم هذا الحجر
لو تدعني أكلم هذي الملاعب قبل السفر
لو تدعني أقبّل كعب النخيل
قبل يوم الرحيل
فالبلادْ
طلبتْ أهلها
وأنا كرياح الجنوب
أحِنُّ لريح الشمالْ
وأنا كالتراب الغريب
في بلادٍ تعاف التراب
والبلادْ
ذكرتني ... أنا واقفٌ بانتظار شروقي
والبلاد
طَلَبتْني ... فحنَّتْ عروقي
لو تَدَعْني أكلّم هذي الملاعب قبل السفر

لو تَدعْني أُقبّلُ كعب النخيل
قبل يوم الرحيل.

دليلة

سوزان البيضاءْ
مثل حصى الشاطئ
عيناها زرقاء
كالبحر الدافئ.

سَرَقتْ أسرارك يا أفعى أوروبا العرجاءْ
واجتثتْ في الليل قرونك بالنار
فارسةٌ لم تهرب من غزَّةَ إلاّ في غزّةْ
فارسةٌ، عاشقةُ المِنْطار
تقرأ في الليل كتاب البحر الثرثار
تسمع أسرار الغابة بعد صهيل العاصفة الخضراءْ
سوزان اغترفت فتنتها من بئر الأسرارْ
تدخل في الغيم إذا رشرش في قاع الدار.
سوزانْ
غصنٌ من شجرة كنعانْ
كغموض النجمة في سقف العالمْ
كغموض العاصفة السريَّة
وطنٌ مهزوز الأركانْ
قمرٌ مشقوق الجبهةِ، بيتٌ مضطرب الأوزانْ
يا قمري المشنوق
من أيِّ كريستالٍ، جئت إلينا
من أيّ طريق. ؟!!!

العتبةُ أشواقٌ كالبحر تَمورْ
العتبة أشواقٌ، و(زجاجٌ مكسورْ
تمشي الفئران عليهْ)(1)
الدربُ الأصفر يا مولاتي حُفَرٌ وجسور
نتعثر في جَنْبَيْهْ
وأنا بينهما عصفور مقرورْ
مبتلُّ الريش ... أحومْ
من أيِّ غموضٍ جئتِ لنا
من أي تخوم؟!!!
يا أشباح الديجور
جئتُ إليكمْ من وطن مأسور
أسألكمْ أين الظّلْمةُ ... أين النورْ

, د س . إليوت .

أين نصوص الأجداد
أين الرأس الوقّادْ
أين الوعدُ المقطوعُ من الشجرة
أين صراخ المَسبيّات المأسوراتْ
في عشّ الوقواقْ
يا سقسقة العصفور الدوريّ على الشُبَّاكْ
وحدكِ من يقرأ مذبحة الكنعانيّات.
وحدكِ من يسمع ألوان الغاباتْ
وحدك من يشهدُ زمجرة الأصواتْ.

كالطائر في الأيكْ
وكذلك سوزانْ
كالقمر الأحمرْ
يلمع في الشطآنْ.
وكذلك سوزانْ.

عاصفة من ندمٍ في قلبي، حتى الآنْ
مذبحة في قلبي المنفرط كحبَّات الرمانْ
لكن الأرض تدور
الأرض تدور.

جنازة مقهى

ألا لا أقول الذي ...
جعل الريح تبكي، تُقهقهُ، ثُمَّ تموءْ.
ألا لا أقول – انتهيتَ – فما زلت في غربتي،
مرتعاً للقوافل، ما زلت باب لجوءْ
وللصيف، أنت هواء المروج،
وإن كنتَ لي عتمةً، ورسائل غمٍّ، وأخبارَ سوء.
لقد طعنوك، تضاءلت في الأمّة المستباحة
ومازلت جذراً، تلوح عيونك في كل ساحة
زرعتُ طحالبكَ الخُضر في قصَب الساعدينْ
زرعت التشابيه في غضب المنحدر
وقلتُ ستكبر طيفاً ورمزاً لأيامنا في الخليل،
تظلُّ ندوباً لقلبي، شِعاباً لمرجانهمْ، ونتوءْ.
أتبقى فضاءً من الانغلاق، وكأساً من الاشتياق،
وصوتاً ... وضوء.
تظلُّ حكيماً / يحرّضني جبلُ الثلج في المفرقينْ
ورمزاً لأيامنا في ضجيج الرُكودْ
سأمسك كأساً من الدمع، أكسره مرّتينْ
سأكسره مرَّةً بالوعود
وأكسره مرةً بالندى.
أيا نادل الجرح ... ماتت أقاصيصك الباكية

ونامت كؤوسك نامت نراجيلك الصاحية
وعُدت لنا بدويّاً تبيع القصائد للمترفينْ
لتغتصب اللقمة السافلة
تغنّي لمن سيجيءُ، تغني لمن سيجيء.

تناثرتُ مثلك يا صاحبي
غدوتُ رحيلاً طويلاً،
يسافر مثل العصافير نحو الصبا الشاحبِ
غدوتُ رماداً يُذَرْذَرُ في النهر،
أو مجزرة
وفي كل قُطْرٍ لنا مقبرة
تعود العصافير للدور عند المساءْ
وأجتاز كل نقاط الحدودْ
خيالي هو القوّة الظافرة
لأصحو على رحلةٍ أو شهيدْ.
تَفَتّتْتُ مثلكَ يا صاحبي
أقيم على حجرٍ في الهواءْ
حفرتُ بذاكرتي عاصمة
وشبّهتُ داري وسيجّتُها بالحديدْ.
توزّعتُ مثلك يا صاحبي
نداماي مرّوا، وما سألوا عنكَ، عنّي
عن النقش والشاي والطُحْلُبِ
نداماي تاهوا برمل المفازاتِ
في غابة الأرجوانْ.
تآكلتُ مثلك يا صاحبي
دموع الأحبة، صارت مشاعاً
لكل قريب وكل غريبْ
وأنتظر الوعد ... هل فيهُمُ من يؤوبْ
وأنتظر الوعد، هل يصدقُ الوعدُ، قد يكذب الوعدُ،
يا زارع الوعد، لم تلتزم بالوعود.!!!
وهُمْ يهدمون جدارك كان فؤادي جريحا.
وهمْ يخلعون العباءة من قصب الماءِ،
كنتُ ذبيحا.
وكانت أساميهُمُ تتلاشى وما نقشوه.
أضاعوا بدايتهمْ مثلما ضيَّعوه.
أضاعوا نهايتَهُمْ مثلما ضيَّعوه.

سأبكيك ما حنّ طفلٌ لشهوَةْ
سأنقش وجهك في كل فنجان قهوة
وأبكيك ما تاق قلبي لنبع الهضاب
وأبكيك ما لمستْ شفتاي الشراب
سأبكيك، حتى أصير تراباً على جسدٍ من ترابْ.

مساءً سأرحل يا سيّدي من جديد.



هزَجُ الليل



عشقتُ الليل، أعرفه ويعرفني، وأعرف أنني
أرعى النجوم هنا،
لأرقب نجمة الصبح.
سأبحث عن أحبائي هنًا في جوفهِ يمشون حولي،
لا أرى منهمْ ... سوى جرحي.
هنا تقتات خيلي، عشبه الصيفيَّ،
ينمو فوق سطح الليل في الوادي، وفي السفح.
وأحلفُ يا مُرصَّعُ أنك الخلُّ الوحيدُ، وأنَّكَ الموتُ ...
الذي يرنو إلى عينيَّ،
من سيفي ومن رمحي.
عشقت الليل، نجمتُهُ تغامزني، قبيل الفجر
في وقت التراويح
مشيتُ، ولا نديم يدلُّني غير النجوم، وليس يوقفني
سوى الشرطيِّ يسأل: أين تصريحي!!!
كروم الجيزة الخضراءْ
خلعتُ جذورها فجراً بأمر النَوِّ ... والريح.
أفتشُ في غبار الطَّلع في كل المدائن أنت ظلّي،
إن فقدتُ الضوء في العتمة
سلاماً أيها الغافي على غيمة
فضاءُ الوقت مفتوح على الرحمة
ألوب مدائن الموتى، لأسأل عنك أقبية الكنائس،
اسأل الخمر المعتّق، أسأل الكرمة
أيا رمزاً على صخر الرؤى الزرقاء، يا نعمة
تطلّ على مدائننا السرابيَّة
تفكُّ رموز ليلتنا الضبابيّة

سأبحث عنك في حطّينَ، في الوادي،
وفي القمَّة
متى تأتي متى تأتي متى تأتي
تحرّك هذه الأمَّة.

الأرضُ تندهنا



كُنَّا نجرجر خطونا، كانوا يجرُّون النساءْ
الأرضُ تندهنا، فلا نصغي لها
كنّا نموت على الجسور، نغوص في طين البحيرةْ
كنّا نغنّي فرسخاً حتى تجفّ حلوقنا،
حتى يضيع كلامنا،
كنّا إذا اشتدَّ الهجير، نَهُزُّ أكتاف الصخورْ
كي يطفح البحر الذي يروي العطاش
ليُولول الصمت المريرْ
إلاّ من الآلام تقرع في سما القدس العتيقة
الأرضُ تندهنا فلا نصغي لها.
لا تندهي فيروز
إنّ الليل في هذي الفصول يطول يصبح كالردى
لا تندهي فالذئب في كل الدروب
وأنا وأنت نصيح في الدنيا سُدى
((لا تندهي ... ما في حدا)). !!!
خَفَرُ السواحل قد تنحّوا عن مواقعهمْ
وأنتمْ تلهثون

فلتحملوا أجسادكمْ ولتقطعوا النهر الحزين
لكن حذار من الجنون
فلقد حرقتم جسركُم، وقطعتموهُ إلى الرمال الصُفر،
بحثاً عن كفنْ.
الآن أبصر شعرك المنثور، تحجبه السجونْ
وتُسائلينَ القفر عن دير الغصونْ
جرحتْ خناجر البراري وجهه ... والآخرونْ
يتلجلجون ... يفتّشون
عن ذلك الولد الذي دفنوه في صمت الجهاتْ
قطعوا يديه، ومزّقوا أشعاره، ورموه في الأرض الموات.
- تلعب الذكرى، يهيجُ الزنبق البريُّ،
والنعمان يروي عن عشيّات الحمى
ينفر الديك إذا شام دمي في القفر،
يرتدّ عن الزهو، غريباً مُرغما
لتصيح الريح في تلك الخرائبْ
ويقيم الحزن فيها سُلَّما
وهي تهذي للجنود القادمينْ
عن زمان السلم والحرب، وتستجدي الكتائب
راجعاتٍ من بلاد الصين ... يحملن الغرائب
كانت الريح صَبِيَّة
في البراري الأمويَّة
عندما سار أمير الفتح للأرض البعيدة
حاملاً سيفاً ورمحاً ... وعيوناً مَغربيَّة
حاملاً قنبلة الوجد ورمَّان الصدور الساحلية.
مع هذا كنت حقاً أرتعدْ
مثل ديك الجنّ مذعوراً من الذُعر،
على سطح البلد.
- كنّا نجرجر خطونا، كانوا يجرّون النساءْ
الأرض تندهمْ كفرقعة الرصاص
كنّا نعود مع الصباح المُرّ أطفالاً أصابهُمُ النعاس
وتكسّرتْ نظراتهمْ، حتى إذا
ذكروكِ يا أرض الغِراسْ
حتى إذا ذكروكِ ... حَنُّوا للقصاصْ.

إذا تكسّرتْ سيوفهم !!!

يمشون في سواحل المنى
ثلاثةٌ ... رابعهمْ أنا
وعبدهمْ أنا
ومن بنى أهرامهمْ تحت سياط الشمس في الظهيرة.
الحجر الصموت في مقالع الرخامْ
أعطيتهمْ
أنا الذي أنتظر الجيوشْ

أنا الذي أموت في الصحراء كلَّ يومْ
أنا الذي إذا تكسّرتْ سيوفهمْ
يُلقى عليَّ اللومْ
أعيش في زمانهمْ ... ولا أعيشْ
من أول التاريخ حتى اللحظة المريرة.

حين تطلُّ شمسنا للمرة الأولى
من فتحة الكهف العتيقْ
ثلاثة ألقتهمُ الطريق
رابعهم أنا
أوّلهم يُعلّلْ الرفاق بالمنى
آخرهمْ يحلم بالزواج من وصيفة الأميرة.
ونحن من نموت في البحار والسماء والجبلْ
ومن نجوع تحت كل كوكبٍ ... على أملْ
حتى فقدنا العزم صار نجمُنا ... زُحَلْ
وبكت النساء، مزّقت حبيبتي الضفيرة.

بدر الكروم في مركبه يعود
في قلبه مرارةٌ في كفّهِ أسرارْ
المرجُ بانتظار عاشق عنيدْ
والكرمل النديُّ في انتظارْ.

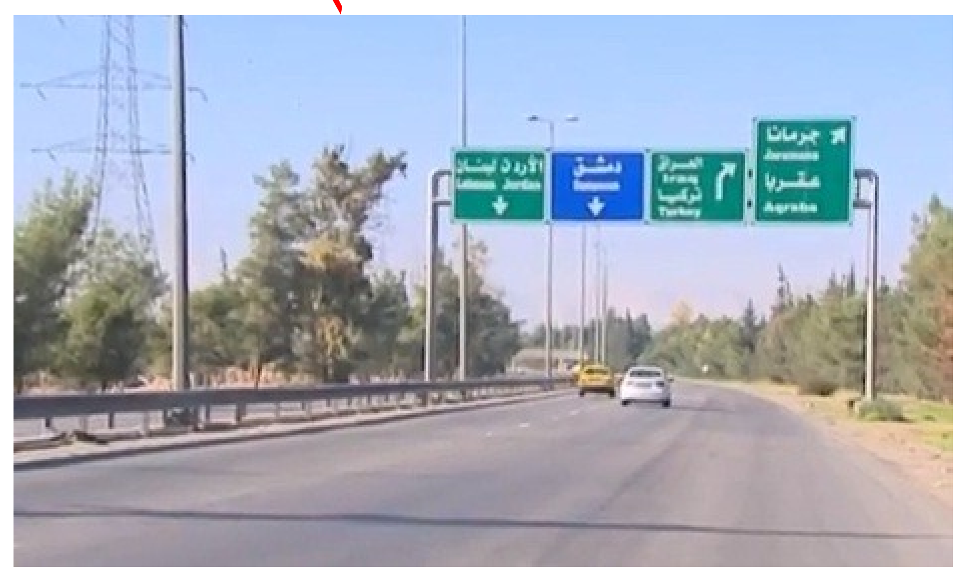
يذوب الثلج



سيذوب الثلج يوماً ... وأراكْ
مزهراً كالورد، تجري تحت أقمار الدجى
لتغنّي كالملاكْ
سيذوب الظلم يوماً وأراك
ممعناً في الظلّ، في عينيك آثار دماءْ
واقفاً كالشجر الملتفّ في غار حِراءْ
مُسْبلاً في الحيّ ثوب الخُيَلاء.
أيها الوجه الذي أحمله منذ عشرين سنة

صرت منذ اليوم وجهاً ساطعاً بين الوجوه
والذي في بركة الموت رماك
والذي حين كَرَرْنا يا حبيبي ... ما حماكْ
كلُّهمْ عاشوا على وهْج لظاكْ.
أيها الوجه الذي خُضْتُ به الموت وطُفْتُ الأزمنة
سيذوب الثلج يوماً ... وأراك.

طريق الشام



1. المتنبّي وأبو تمَّام:

في باب الشامْ
قابلتُ المتنبّي وأبا تمَّامْ
وذهبنا للحانة في الشط الغربي المخمور
(صاحبها ثرثار)
ثمّ َ سكرنا حتى جرت الخمرة في جذع الأسرارْ
حدَّثنا عن عقدة كافورْ
قال: يحبُّ مديحَ الشعراء، ويكرهُهمْ ويَغارْ
سقطتْ فوقي أطنان الأشعار
من جوف أبي تمَّام:
هذا الشاعر نمَّامْ
ذاكَ الشاعر صرصارْ
فسقطنا في بحر التذكار:
كان الشعر نديّاً كالدافورْ
كان النصُّ كنهر الخابورْ.

2. عبد يغوث الحارثي:

أبانا الذي في دمشق الطيُوبْ
ألوبُ حواليكَ، أنت شمالُ الجنوبْ.
أقول، وقد ... قطعوا شَرَياني ومرّوا

على جبهتي، واستراحوا على رئتي الميّتة
أقول، وقد تركتني المدائن تحت الخطر
وصرتُ سفيراً لجوعي وفقري ونومي
على طاولات المقاهي، وخوفي من المنتظر
حديثي عن الأمّة الساكتة
غنائي عن الجوع والثورة الغامضة
كأني أرى مجزرة
كتبتُ على اللافتة:
أبانا الذي في دمشق
أزورك هذا المساء، وللريح في شرقنا زمجرة
وأبكي ترابك، أشكو إليك زماني،
زمانك كالمحبرة
وهذا أنا كالحمامة أنتظر الماء حتّى يغيب
لينفرج الهمّ عن كاهل الأرض،
تنجب من رملها جوهرة
ونحن عطاشٌ لماء دمشق القديم.
ستحمل في جانحيك عذاب المنافي،
لتصرخ قرب المذابح في الأديرة
فأجنحة الشمع كادت تذوب
أتقسمُ أن لا تتوب؟!
فقد قتلوك كما قتلوني
زرعتك صفصافة في عيوني
وفي المقبرة
وقلتُ: يعود لنا من قبور الشهادةِ،
يخرج من جوف صحرائنا المقفرة
يُغمغمُ، يركض كالسهم، يركب فوق حصانٍ
من الحور، صاغوه في قاسيون
وصلّتْ له فاتنات دمشق، وغنّى له السَحَرَةْ
وطافوا حواليه بالصمت والمبخرة.
ذكرتُ دمشق كما يذكر الطفلُ أثداء سيّدةٍ ...
في البلاد التي هجرتها الجيوش
ذكرت دمشق، ظللتُ أنادي عصافيرها
الضاحكات ... وأسواقها والنساء
وأذكر باب دمشق وحاراتها،
ثمّ أسوار جامعة القلب والشعراءْ
تعيشون يا أهلها ... وأنا لا أعيش!!!
أبانا الذي في دمشق الطُيوبْ
ألوب حواليك، أنت شمال الجنوب.

3. موشح:

زمان الهوى يا عيوني، تولّى وراحْ
لأنك في فاتنات دمشقَ تُثير الحنينْ

لأنك من كوكب الياسمينْ
تحبُّ صهيل المزاحْ
سماحٌ، سماحٌ، عليك السماحْ
فضاءٌ يؤرخ للراقصينْ
مساءٌ يزمجر كالبحر في ساحة المرجة الطافحة
برائحة الفُلفل البدويّ الذي في العيونْ
أفتش يا فتنة النار عن قبْلةٍ حارقة
تليقُ بعشقكِ يا طاغية.
لماذا أموت، ولا تبعثين السلاماتِ والكلماتِ
المضاءة تحت الشجر
لماذا يغلّفك الصمت والكبرياء
لماذا أعيش على طيف صورتكِ الساكتة!!!

4. خولة:

أنا في مدائنك الموحشة
رصيفٌ تبلّل قبل الصباحْ
لكي أتقحّم هذي الجرود، وهذي البطاحْ
ومن أجل عينيك شقّتْ سيوفي خيام السماءْ
أنا في مدائنك الموحشة
رصيفٌ عتيق، يفتش عن وجع الأرغفة
أأقعد وسْط العشيرة مثل الخليع؟!!
وهل سيف دولتها يستحقُّ الرثاءْ
أنا جاهزٌ للعراك على نجمة تستحق العناءْ
أجندلُ رهطاً من الشعراء الرواة
أنا ملكُ الشعر، من لغتي يصنعون الدُّروعْ
ومن لغة الآخرين، الصفيحْ
فأين امّحى شعراء الهجاء.؟!!
وأين اختفى شعراء المديح؟!!

لسببٍ عاطفيٍ إفريقي

أسيرُ كالصبّاح فوق الشَطّ،
أمسح الرذاذ عن جديلةٍ تنساب في الهواءِ،
ألقطُ الحصى، وأرجُمُ الحيتان، أستغيثُ يا مفرّج الكروبْ
حمامة في شاطئ الإسكندريّة اللعوبْ
تلوبُ في الفضاءِ، حيثُ الطائر الطروبْ
يقزقز الدقائق الطوال بانتظار موعد البلّورْ
المطعمُ الصيفيُّ في محطّة القلوبْ
مُلَفّعٌ بضحكةٍ من القماش الأزرق الشحوبْ
البحرُ عاصفٌ والوحش في الزُقاقْ
الليلة استرحتُ، لا صديق لي سواك يا مضيقْ
البحر كان هائجاً، أوشكتُ أن أقول إنَّ شارع التانيس،
قد يفيضُ رغم بُعد وجهكِ الصبَوح، رغم أنَّ قلبك الغريبْ

يَرفُّ بالصلاة لي. أوشكتُ أن أتوب.
الليلة استرحتُ في مقاعد الغابات، واستمعتُ للألوانْ
رأيت (سيفَ وانلي)، يرسم الخَريرَ في الأغصانْ
يُتابع الغناء في مراسح العويلْ
وعندها ذكرتُ صاحباً يجول في مدينة الخليلْ
ويشتهي غناءَهُ الطلاّبُ والبناتْ
يقفزن في الهواء فوق السورْ.
الليلة ابتكرتُ خطّاً رابعاً من الخطوط فوق الرمل ...
تُشبهين أسطُراً من قلم الجليلْ
المطربُ الحزينُ يستعيد ساعة من الوصال فوق شطّ النيلْ
فأومأتْ زهقانة بطرف المنديلْ
هل تحفظين هذه القصائد التي تموج بالتفصيل
أحبُّها جميعها، بدون أفعل التفضيلْ
واشتعلت كنجمةٍ تذوبْ
ثم اختفتْ، كأنّها جِنيّةُ الحقول.!!!
صَبيَّة بحريَّةُ الأصولْ
علّمتُها الغناء في تمّوزْ
قشّرتُها كلوزةٍ بريّة الرموزْ
وقال صاحبي ...
سكتُّ حين قال صاحبي: أحببتَها يا صاحْ!!!
جرَّدتُ روحي من إسارها، أخبرته: يَجوزْ!!!
يا صاحبي ... هذا ارتحال سيف الدولة الضِّلّيلْ
ناديتُها ... (أماندا ... بشعرها الطويلْ)[1] *
البحر قال جملة ترنُّ في الأعماقْ:
- الغربة الزرقاء قد تمتدّ ألفَ ميلْ!!!
أليس بحر هذه المدينة التي نعيش في مرجانها،
يمتدُّ حتى ساحة الحنطورْ
تزورها السفائن التي يعلكها التجوال والوهَنْ؟!!
لقد تعبنا يا ... (كفافي) ... والزمنْ[2] **
في صالح البرابرة
فلننتظرْ – البحر قد يمرُّ من هنا، أشمُّ رملك الحنون ...
أحضن الأمواجْ
نُسيمَة من سحرك الوهَّاجْ
نوارسُ الخليج والعُقْبانْ
ونقنقتْ ضفادع السَبْخات في بولاقْ
هل تكتكتْ في الفجر، ساعة عتيقة ... ومثلنا مسافرهْ!!!
هل نحن في الإسكندريّة اللعوبْ
ننتظر البرابرهْ

---

(1) أماندا بشعرها الطويل : مطلع أغنية لمغني التشيلي ڤكتور جار .

(2) كفافي : شاعر يوناني مصري عاش في الإسكندرية، له قصيدة بانتظار البرابر .

أم ننحني للريح، كي لا تُطفئَ السراج!!!
صبيَّة يقال يونانيّةَ الأصولْ
في صدرها قلادةٌ من عاجْ
في دارها زجاجةٌ من دمعة الخليلْ
الشرفةُ النيليّةُ البيضاءْ
زقزقةٌ تطلُّ في ملامح القتيل.
يا دارها التي تُغازل الشراعْ
كم حُمتُ حول سورها، والحجل البريّ
كم رفرف الدوريُّ في حديقة الأجراس
كم صدَّني في بابها تعنّتُ الحرّاس
من قبل أن تطلَّ كالندى على مباسم الرُمَّانْ
بثوبِ ياسمينها الطويلْ.
أماندا ... بشَعْرها الطويلْ

هل ينـزف البحر دماً
أمْ ينـزف البحر صديدا؟!!
أم أنه بكى حبيبَهُ الموعودا؟!!
أم أنه ينتظرُ الرمالَ أن تبوحَ
أو أن تقذف فوق رمله شهيدا؟!!
أمْ يا ترى حبيبتي في هدأة المساءْ
تجيءُ كالضياء في محطّة القطارْ.
يا أيها العظيم
ندور في الوديان في ذوائب الأشجارْ
تهرسنا الحيتان والعقبان والبرابرة
يأتون من ورائنا، يأتون من أمامنا، وفي نثيث الثلج،
يُقبلون من مدائن البضائع المُقَنْطَرَةْ
معتمة أحلامنا – من يمنح الغريب في ترحاله تأشيرة الدخولْ
هل ينـزف البحر دماً، أم أنَّ قلبي مُتعَبٌ في هذه الأعوامْ؟؟؟
أمْ أنَّ عيني، ربّما ترفُّ من تراكم الأيامْ؟!!
أم أنَّ أمّي في الخليل، لا تنامْ.؟؟؟
البحر سوف يذكر الأسباب، سوف يصفو،
تُقبل الموجات كالأحلامْ
تفيض فوق ذلك الحزين، يفرح الرَغامْ.
البحرُ هزّني، البحر حزَّ لي وريدي
البحر قد يفيض، تدفن المدينة المياهُ، تصفر الرياحْ
وتركض الموجات كالدجاجْ
ويغرق التِرامُ، ذو الخطّين في محطة المدينة الراجفة الأوداج.
كأنّها عاصفةٌ تلوب في مشارف الخليلْ
بثوبِ ياسمينها الطويلْ.

أسير كالصباحْ
كأنني فراشة المصباحْ

الفندق الرخيص لم يَنَمْ
قد يعبرون اليومَ، رُبّما، ورُبّما غداً قد يهجم البرابرهْ
وطقطقتْ أوراقُهمْ في الفندق الرخيصْ
بل صاح سيِّد عجوزٌ: ... (باصِرَةٌ)
فانفلقتْ طاولةُ الرخامْ
واهتزَّ صوت النهر في قصيدة البرابرة
لن يحضر البرابرةْ.
لأنّـهُمْ في صُحُف الرقيبْ
لأنّـهم في الكأس والرغيف والمُحاضَرَةْ
لأنّـهُمْ في البيتِ، في مقاطع النشيدْ
لأنّـهُمْ في القدس والخليلِ، أوْ في الناصرةْ
يقتلعون الوردَ أو يحاصرونَ ...
هذه المدائن المُحاصَرَةْ
لأنَّ هذا الشافعيَّ في الوريدْ
لأنّـهُمْ قد قتلوا المصلوبَ في مغارة الحليبْ
لأنّـهُمْ في كتب المدرسة الصفراءْ
لأنـهمْ في الشاعر الكذّاب والبليدْ.
عبرتُ كالصباح، مثقل الخُطى، هربتُ نحو شمسها الزرقاءْ
علمتُ أنَّ صورةً أخذتُها للسيّد العجوزْ
قد مُزّقتْ في شاطئ المعمورةِ المعمور بالنساءِ والنساءِ والنساءْ.
في الفجر، من شبّاك شقَّتي النيليّة البيضاءْ
نظرتُ، كان الصائدون يزحفونْ
يا غربة الجليل، إذْ يغطُّ في النعاس والندى
وحطَّ كفَّه على جبينِهِ، وقال: يا اللهْ
لا تترك الغريب بين الدمع والجفونْ.!!!
وكنتُ في الطريق ساهماً، أفتّشُ البيوتْ
هل ضاع رقم شقّتي، أمْ ربما أخطأتُ في العنوانْ
وقال صاحبي الذي يبيع نرجس العيونْ:
- إلى يمينها عمارةٌ خضراء، في شمالها سيّدة شقراء،
في جنوبها تسلَّل الضياءْ.
صبيّةٌ بحريَّةُ الأصولْ
لم تُخبر الأطلال عن عاشقها النبيلْ
ولم أجد من صوتها سوى صدى الرنينْ:
الغربة الزرقاء قد تمتدّ ألفَ ميلْ
- شردتُ من نوافذ القطار في الصحراء والسهولْ:
ضحكتُ قبل أن تقول: كُفَّ عن تدجيلكَ الرقيقْ
البحر كان فاتناً ولا سواك يا صديقْ
لكنّما النسيانُ والبرابرةْ
سيقتلان الحُبَّ يا (مَناصرةْ)
يكتسحان الجذرَ والقِلاعْ
تلك التي بنيتَها في شاطئ العقيقْ
ينكسرُ اليَراعْ

ولن ترى – أماندا
بثوب ياسمينها الرقيقْ.
صدرت سنة (1969)

الديوان الثالث

مذكرات البحر الميّت



جدّي كنعان لا يقرأ، إلاّ الشعر الرصينْ
يلعبُ الشطرنجَ، أحياناً،
يلاعبُ أحفاده، يتشعلقونَ بفرسهِ البيضاءْ
أضِفْ، إلى ذلك ... جدّتي
وهي من أصل هكسوسي
لكنها، تزعم أنها نبطيّة
ترعى بقر الوحش في بادية الشام
تكتبُ على القرميد الأحمر، أشعاراً حزينة
تحصد شقائق النعمان، في أول كل ربيع
ترقص في ملاهي واق الواق:
1. رقصة الثرثرة.
2. رقصة الفخر.
3. رقصة الهزيمة.
عينا جدتي زرقاوان، كالبحر الأبيض
لها ضفائر لولبية شقراء، كأفاعي الماء
وكفلٌ يتماوج خلفها، كفقمةٍ في بحر الشمال.
لهذا تزعم أحياناً،
أنها تتقن الهيروغليفية،
تتقنُ الكنعانية الفلسطينية السينائية
تتقنُ الأمازيغية، والسُريانية، والكُرديَّة
ولغاتٍ أخرى، لا تُحصى، ولا تُعدّ
رغم أنَّها، لم تدخلْ مدرسة محْوِ الأميَّة.
جدّتي، تحوّلُ الحجارة إلى سجونْ
تذرذرُ الترابَ في وجه من يديرون الشمسْ
تسرقُ أخطر الوثائق من خزينة السلطانْ.

جدّي كنعانْ
أبيض، مرقط، مثل أم بريصْ
يصطاد الحمام، في أعالي جبال كنعانيا
قابلَتْهُ الكاهنةُ
ذاتُ الأنفِ الطويل،
الشعر المنسدل على الكتفين،
الساق الملساء، كالزبدة،
الوجه الأحمر،
الحاجب الكثّ،
ضحكتْ له، كاهنةُ البوادي
حتى استرختْ أعضاؤه،
شربَ نبيذَ الدير الجبلي،
رمتْ جسدَها البضَّ عليه،
عندئذٍ ... قال لها:
خُذي ... ما شئتِ ... من التراب!!!

تكبرني جدّتي بعامين
الشَعْرُ الأبيضُ في رأسها، يغني ثلاث أغنيات:
أغنية للذكرى،
أغنية للحاضر،
أغنية للهزيمة المقبلة.
غنّيتُ لثوبها المطرّز من كل عقلي
عزفتُ نصوصاً من كتاب النبيذ
رَنْدَحَ صوتي غزلاً، لرمّان رأس العين
في عيد ميلادها، في حقل القمح
كانت الغزالات، يرقُبْنَ دموعي
سكرتُ من عصير السفرجل المُشمّس.
شربنا دنان الخمر، حتى قالت الذكرى:
لم أشرب في حياتي، كهذه المرّة.
لعبتُ مع جدّتي، كرة السلة، وكرة الماء،
وألعاباً أخرى، يعرفها المحكّمون في المباريات.
شبعتْ جدّتي، صرختْ أنها متعبة،
رجعنا آخر النهار
وكانت تكبرني بثلاثة أعوام:
الندى كان طافحاً على حبّات العنب البلُوريَّة
كريستال الصخور، يُشعشع دربَ الحبّ،
من بيت لحم إلى الخليل.
في الطريق التي تؤدي إلى قلبي
رحتُ أقولُ لها: توهّجي، توهّجي
ارقصي لي وحدي، رقصة الخَضِرْ،
حين طعن غريمه
قالت: هذه مدن، كلها ترقص، كالخنجر
ثمّ جرّتني من يدي، إلى أعالي (مادبا).

صَرَخَتْ في وجهي:
قل لي: كيف وصلَ الكذّابُ إلى هنا
هذه ينابيع شعب مؤاب الكنعاني
قُلْ لي: كيف قطع الصحراء
لم يستطع يا ولدي، فانظرْ غَرْباً
نظرتُ غرباً ... لكنني، لم ألمح الخليل.
عندئذٍ، خلعتْ قميصها، أركبتني على كتفها
طارتْ جدّتي، نحو فضاءٍ، لا ينتهي
قالتْ لي: اقرأ، اقرأ، اقرأ،
قلتُ: ما أنا بقارئْ
صَفَعتْني بقبضتها: غداً ترون،
يا نسْلَ الأُميّين ... بكيتْ.
في الطريق إلى صفصافة البيت،
كان الرعاة
حاملين شبّاباتهم، وأحزانهم،
كانت تحكي لي عن سرقات الوقواق
ذكرتْ لي - حرفياً – أسماء اللصوص
وعندما ذكرتْ لي، اسمه، انتفضتُ،
هتفتُ إذنْ، هو بعينه،
هو بعينه، مَنْ سرقَ مشابك الغسيل،
بخطّافه الذهبي،
ضحكتْ جدّتي، وقهقهتْ:
- ليس هو يا ولدي
إنه أحد تلامذته.

- لأمّي ضفائر سوداء، كليل الخليل
تنثرها على ظهرها، عندما يكون عارياً
كانت تضمّني إلى صدرها، في ليالي الشتاء
أما هذه الأيام، فإنها تخاف منّي
لأنها قرأتْ مسرحيات سوفوكليس كلها.
عسلٌ شفتاها من نحل الكرم الغربي،
نهرٌ من لبن نعاج البريّة، ثدياها،
لها عينان بحريتان، كأجنحة الحمام،
في نشيد النصوص الكنعانية،
قبل أن يسرقه العابرونْ.
أمّي لا تحبُّ التشبيه، وتمقت الكناية
تكره الكرنتينا على جبل في الخليل
حيث الدواءُ كلُّه أحمر.

إنني ابنُ أبي،
واسألوا ليلة الزحف في عريشة التين
أرسلتْ لي أمي مكتوباً، قالت فيه، حرفيَّاً:
إنها تعشق في هذه الأيام، ولداً يشبهني

تمنيتُ أنْ أعود إلى رحمها
بعد أن قطعتُ المسافة الأولى
من باب الأسباط ... إلى بولاق الدكرور
أمكنة لا تعنيكم، إلاّ في الأزمات.
ولدتْ أمي في الكرمل العالي
ولد أبي، قرب سدود الملح،
في قاع العالم، أيْ، واللهْ
أما أنا، فسقطتُ فجأة، قرب عوسجة الماء
كانت أمي، عائدةً من غابة الحطّابين
ترجّيتُها كتلميذ، أن تلدني قرب عوسجة الماء
في منتصف المسافة المترددة
حيث الذئبُ والدمُ وإخوتي
تمنيتُ أن أصل الكرمل المعشوشب
بحقول الملح، في البقعة الواطئة
قالوا لي: نصفك الآخر، سيقف كالجدار
عندها هتفتُ، بأعلى يقيني:
إنني ابن أبي.
- تفكّ أمي ضفائرها، مثل كل الكنعانيات
في أول أبريل
تلبس ثوبها الرمادي
في الثاني من تشرين الثاني، ومنتصف أيار، تماماً
تبحث هذه الأيام، عن لونٍ أشدّ حلكة
للشهر الذي يليه
تقرأ أمي الأشعار المحلية، والأجنبية،
الروايات التراجيدية، والهزلية،
لكنها تكره الروايات التاريخية
وهذا هو السرّ في أنها تشرب
ثلاثة كؤوس مُركَّزة في ليلة واحدة.
وتزعم أن هذا، لا يُنْقِصُ من حكمتها.

- لأبي شارب أسود، تعشقه النساء
لذا سقطت أمي، تحت قدميه من أوّل الأغنية
كنتُ أنظر إليهما في ليلة العرس، من ثقب الباب
هل جرّبتُمْ ذلك، مثلي
حيث فقدتْ أمي، عفافها، لأول مرّة
لكنهم أسموه – فيما بعد – زواجاً.
رمتني أمي قرب غزالة الماء، فأرضعتني
تمنيتُ أن أنمو في الفلك السابح في بحر عكا
لكنني حين كبرت، وجدتُني مرمياً
بين النخيل، وكلاب البحر
وبدأت أصرخ، بأعلى شكوكي، والصقور تجرحني:
صحرا
ماء

صحرا
ماء
صحرا ماء!!!
وبطبيعة الحال: لم يسمعني أحدْ.!!!
لم يسمعني أحدٌ يا أبي.

- جدّي كنعان ... بحّار بدويٌّ،
يوزّع الحروف الجديدة، واللغات غير الدارجة
قيل: جاء على فرسٍ من عسيرا!
وعلى مركب أبيض من كريتْ!
قيل: جاء على مُهرٌ من اليمن، في سفينة أثينية!
ثمَّ اكتشفتُ السِّرَ المخبوء:
هنا كان أصلي وفصلي
لم أجئْ من أيّ مكان آخر.
قيل، ماذا يعني ذلك الآنْ!!
فسائلُ الحروفِ فرعنتْ في العالم.
كان يخلط الحنين، بالزجاج والفخار
ثم يسقيهِ، بدمع الأرجوان
يصلّي في الجامع الأبيض في (صور)
يقرأ الصحف الخضراء في (حيفا)
يشرب الخمور الفاخرة، في مطعم البحر
حيثُ الرذاذُ، يجيءُ له بالأخبار العتيقة
النورسُ الكلبُ، لم يقرأ العدد الصادر حديثاً.
يطلب الثأر، قدّام حجر مؤاب
يأتينا آخر الليل من غوطة الشام
عيناه حمراوان، بلون أصداف (صيدا)
شعره مشعث، كغابات الأمازون
وإذا لم تصدقوني – اسألوا سهل البقاع.
- تترك جدتي سجّادتها، عندما تراه قادماً
لأنها فرصتها الوحيدة – تغطيهِ، تحت إبطها
جدّي، يقرأ لها قصيدته:
(كنعانيا، إذا شئتِ أنْ تتطهّري من الفسادِ ...).
ثم يعرّج أمام مذهّبات العربْ
يقرأ لها شيئاً من الحب الرمادي
شيئاً من الكذب،
حتى يغدو كل شيء، فاقعاً وملتهباً
تحمرُّ العروقُ في وجنتيها،
عندئذ تطلب جدّتي، الثأر الحميم،
تسأله عن كاهنة البوادي،
وتحوم في أرجاء الغرفة، كالمجنونة.

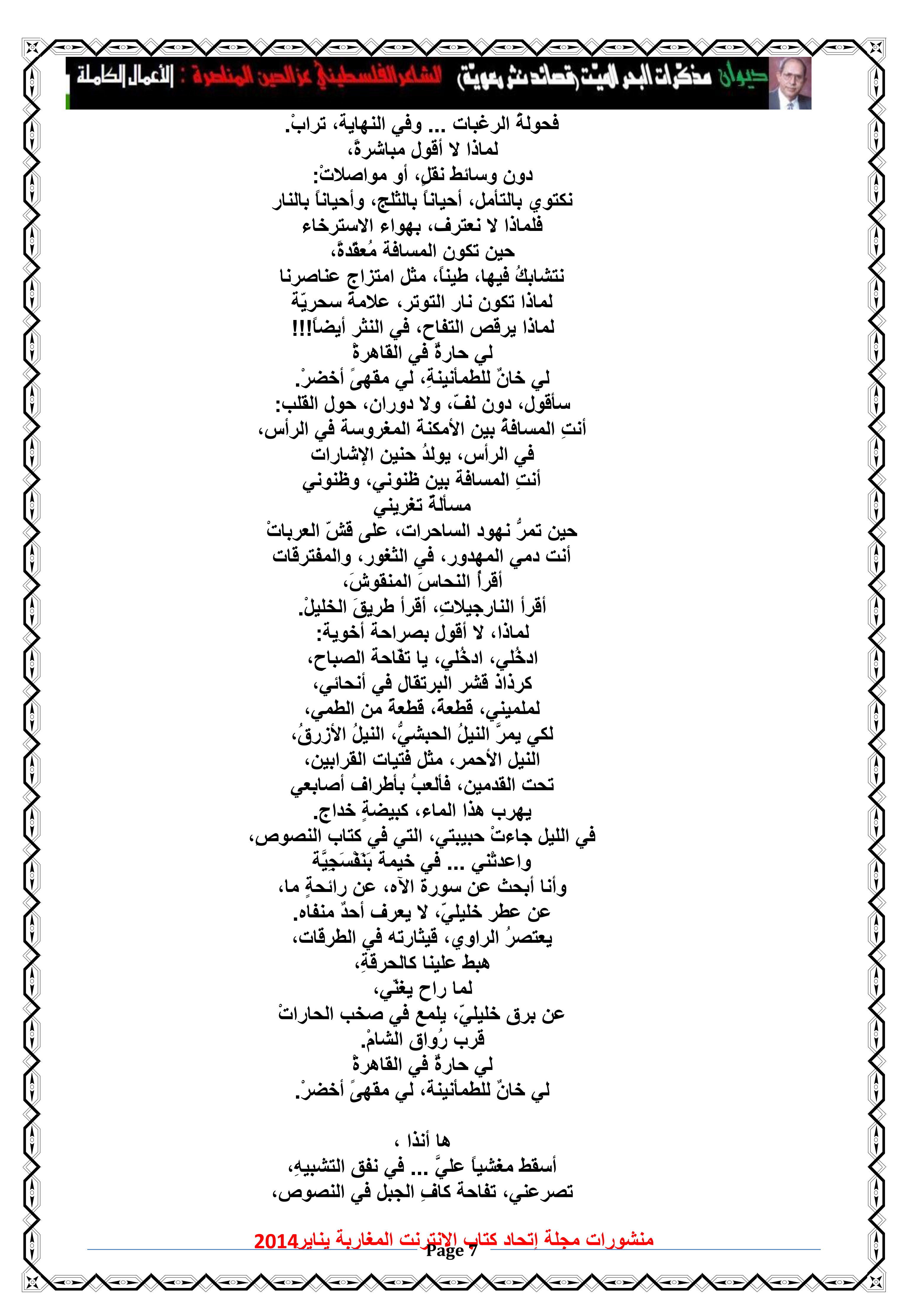
توقف جدّي عن الهذيان
واستعدّ للرقاد الشتوي والندم

وقال لها يا سيّدة كنعانيا:
- سننام، حتى يأتي شهرُ حزيران،
عندئذٍ: ... نتذكر موتانا.

لي حارة في القاهرة



لي حارةٌ في القاهرةْ
لي خانٌ للطمأنينة،، لي مقهىً أخضرْ.
- حين تمرُّ تفَّاحةُ الصباح
يرتجفُ قلبي، مثل طُعمِ صُنّارةٍ تتلولحُ في الهواء.
حين تمرّ تفّاحةُ الحنين،
تَشْعَطُنا بالنّار، تكوي شرايين الحارات.
حين تمر تفاحة الشبق،
تتقصَّعُ في مشيتها، كالشعر الحُرّ،
تهزّ الأرداف، كإيقاع نثري.
- لماذا إذن، لا أقول، رأساً:
دون كافاتِ التشبيه:
مسألة تُغريني،
حين أناوِشُكِ، فتتدلعين، كالهرّة
يا مهرةَ غنوجاً، يا رُمّانةَ نديّة
في المشربيّات العثمانية.
لماذا تشوين قلبي، حجلاً بريّاً،
في موقدك الثلاثي العتيق،
قرب نبع روماني في الوادي،
دون رحمة، دون نظرة، دون مداعباتْ.
الماء يتدفق ناصعاً في سراويل الخلوة
حيث الماء جذري، والتراب يقيني
العالم، فواصلُ، نقاطٌ، وعلامات



فحولةُ الرغبات ... وفي النهاية، ترابْ.
لماذا لا أقول مباشرةً،
دون وسائط نقلٍ، أو مواصلاتْ:
نكتوي بالتأمل، أحياناً بالثلج، وأحياناً بالنار
فلماذا لا نعترف، بهواء الاسترخاء
حين تكون المسافة مُعقّدةً،
نتشابكُ فيها، طيناً، مثل امتزاج عناصرنا
لماذا تكون نار التوتر، علامةً سحريّة
لماذا يرقص التفاح، في النثر أيضاً!!!
لي حارةٌ في القاهرةْ
لي خانٌ للطمأنينةِ، لي مقهىً أخضرْ.
سأقول، دون لفّ، ولا دوران، حول القلب:
أنتِ المسافةُ بين الأمكنة المغروسة في الرأس،
في الرأس، يولدُ حنين الإشارات
أنتِ المسافة بين ظنوني، وظنوني
مسألةٌ تغريني
حين تمرُّ نهود الساحرات، على قشّ العرباتْ
أنت دمي المهدور، في الثغور، والمفترقات
أقرأ النحاسَ المنقوشَ،
أقرأ النارجيلاتِ، أقرأ طريقَ الخليلْ.
لماذا، لا أقول بصراحة أخوية:
ادخُلي، ادخُلي، يا تفاحة الصباح،
كرذاذ قشر البرتقال في أنحائي،
لمليني، قطعة، قطعة من الطمي،
لكي يمرَّ النيلُ الحبشيُّ، النيلُ الأزرقُ،
النيل الأحمر، مثل فتيات القرابين،
تحت القدمين، فألعبُ بأطراف أصابعي
يهرب هذا الماء، كبيضةٍ خداج.
في الليل جاءتْ حبيبتي، التي في كتاب النصوص،
واعدتْني ... في خيمة بَنَفْسَجِيَّة
وأنا أبحث عن سورة الآه، عن رائحةٍ ما،
عن عطر خليليّ، لا يعرف أحدٌ منفاه.
يعتصرُ الراوي، قيثارته في الطرقات،
هبط علينا كالحرقةِ،
لما راح يغنّي،
عن برق خليليّ، يلمع في صخب الحاراتْ
قرب رُواق الشامْ.
لي حارةٌ في القاهرةْ
لي خانٌ للطمأنينة، لي مقهىً أخضرْ.

ها أنذا ،
أسقط مغشياً عليَّ ... في نفق التشبيهِ،
تصرعني، تفاحة كافِ الجبل في النصوص،

جرارهم، ترشح بماء الصيفِ،
قبعاتهم ترشحُ أرجواناً دمويًّا،
قُمصانُهم الكنعانية، مجدولةً من سعف التلحميةِ،
هزّي قلوبهم، مثل دِلْبِ الداليةِ ،
تسّاقطُ الأغاني والمواويلُ،
من (خِلِّ إيل) الدلعونا، إلى جرار الإسكندرية
من عَتابا بني نعيم، إلى مواويل الصعيدْ.
لي حارةٌ في القاهرةْ
لي خانٌ للطأنينة، لي مقهىً أخضرْ.

أمسكُ الجمرة بملقطي،
أسندُها على عرش النارجيلة، كعروس،
وأقلّبها، كما الأوجاعْ
أخضُّها بين يديَّ، كقِرْبَةٍ بدويةٍ، مثل هواجسي
وأنا أمصمصُ حبّات التوت،
أرمي أليافَ الخوفِ عن كاهلي،
يتصاعد الدخان أفعىً، تتمدد كالريح،
في طمأنينة النيل النجاشيّ،
في شروش جذورها الريحاويةِ،
من ذيل ثوبها الطاووس،
إلى قبة الصدر المطرز بالأغاني.

- ثم فاجأني السيّد، دون تمهيدٍ، أو توطئةٍ، يا سيّدي:
هل تشرب شاياً أخضر، أيها السيّد؟!
في شارع محمد علي، بعُطورهِ القديمة
أوْ ... في (حارة المناصرةْ).!!
قلتُ له: يا سيّدي الأصفرْ:
تورّطتُ في عشق ما قاله الألمانيُّ،
المدعوُّ – برتولد بريشت،
عن الترحيل، والصراع الطبقيّ ... والخليلْ
ومع هذا، ورغم هذا، يا سيّدي:
لي ... خانٌ للطمأنية، والرحيلْ
لي ... مقهىً أخضرْ
لي ... حارةٌ في القاهرةْ.

مبادئٌ تتدحرجُ ... كزماننا

ارتكيتُ على قلبي،
استندتُ على إشاراتٍ دموية في رأسي
كسرتُ كبوتي، بشخرةٍ، سمعتُها بنفسي
ثم فتحتُ عيوني تدريجياً،
وقلتُ لعندليب الصباحْ:
اغسلْ لنا تفاحةً، أيها المغنّي،

أعطنا حليبَ الفجر،
أعطنا ... عاصفة هنديَّة.

-2-
الأتراكُ العثمانيون،
العربُ المُسْتَعْرِبة،
اليوغسلافُ المُنشقونْ،
ينثرون بذور البطيخ في الحدائق العامة،
سوف تثمر يوماً ما
سوف تثمر يوماً ما.
-3-
عجوزٌ تلثغُ، تترجرج، كعصاها السحرية،
مدينة ... تترجرج كالحرب،
نهدان يترجرجان، كحبّات الرُمّان،
مبادئ ... تترجرجُ ... كزماننا
هذا قانون النهايات، يا سيدتي.

مــريــم

مَنْ تُرى هذه الطفلة، هدَّها التعبُ. تركضُ في سفح الجبل كالمهرة. في جبينها عصافيرُ الشَرَقْرَقْ. وفي عينيها، بكاءٌ، أم أنَّ ندى التين، يغرقُها بالحنين. وعلى شفاهها، عبق الدوالي. كلُّ طفلٍ في مدينتي، يحمل الخضرة في عينيه، ورحيقَ التفّاح، تحت لسانه. الطفلةُ المختطفةُ من عساكر الأعداء، تلهثُ من طول الاختباء. الطفلة الفلاّحة، بثوبها المطرّز، وحزامها أحمر، من بني قيس. -تركض غريبةً، كنورسٍ مجروح، تخلّفَ عن السرب. ولم تعرف الطريق إلى النبع المسحور في الوادي. رأتها الثعالبُ والجنادبُ تقفز مختالة في حقول الذرة والقثّاء. ثم تابعتِ الركضَ، ملتفتةً للوراء، أربع مرّات، وللأمام مرّة واحدة. مَنْ تلك الطفلةُ القادمةُ من دخانِ الطوابين، كلُّ رغيفٍ، صليبٌ على خدّها. في قلبها مدينة تضجّ بالأنين والصمت. كيف ستعرف حبيبتي علامةَ المخبأ. هل تركوا علاماتٍ، لا يخون الجبل. ثمّ سارت على هُدى قلبها. الصبيّة الراكضة، بمخلاتها، كالمهرة. صاحوا فرحين: - إنّها مريم.!!!

خطبة أعالي الليل



يا شقيقَ الصباح،

أيها الليل ... يا ابنَ الغروبْ
لستُ شجرةً،
حتى تتفيأني العصافيرُ الشاردةُ،
كان الطخّ يفرقع، كالفراق في قلوبنا،
حين عادوا، بسراويلهم الممزّعة،
تركوا أحذيتهم،
قربَ سماءٍ صفراء، بلا كبد.
أما نحن المحتشدين، كالغبار
فقد مددنا لهم، ألسنتنا،
توالت البصقاتُ من أعيننا
على أقفائهم المرطرطة من التعب،
لم يحرّكوا ساكناً،
ولم يشكّلوا حرفاً من الأبجدية
تلك حالتهم، بعد نجيع الدم في الصحراء.
لستُ خبّازاً في مديرية الليل
كي أسرق لكم، خبزاً ساخناً من الطابون
ساخناً كقلوبهن التي انكسرت كالفخار.
تلئمنتِ الريحُ عليهم، فبكوا
كثيرةٌ مشاغلُ الريح الدموية:
1. تُبلّلُ أرواحَنا المضطربة،
حين تطقّ أعصابُنا من الصَهْد.
2. تثير مخاوفَ الرملِ الأصفر
في الزمن الكَعْكبانــيِّ
حين يشعر بطمأنينة الحجر.
3. تستفز الطيور الليلية، فجراً
كي تنقّبَ عن بذارٍ لفراخها.
4. ترمينا، بفُتاتِ العتاب، إن أخطأنا.
5. تلسعُ نؤومَ الضحى، في فراشها الوثير
6. تلقّح الأشجار، بطلّع المودّة.
7. تُصفّرُ كشرطي،
حين نقطع العلاماتِ، قبل الأوان.
8. شرقية، ترتجف منها القناديلُ،
كعجوز، تحت خروبةٍ مشقّقة.
9. تقول ريح السموم:
احصدوا بذورَ آثامكم،
كقطيع، ساعة الندم.
10. مهما قالت الريح الصفراء عنّي،
سأسامحها، فهي لحمي.
11. العواصفُ، ابنة الرياح،
والندى، طفلةُ السنونو.
12. حين نكون في دهاليز القلاع السوداء
تنجنُّ الريحُ من صفير الساحرات.
المطر الغربي، دلالةُ المتوسّطِ الشرقي،

الريح الغربية، سُمّيتْ هكذا،
لأن الريح الشرقية، ولدتْ قبلها.
13. تدقُّ الأبواب،
حين يغيب الأحباب،
ألم نقل لكم ذلك، قبل السلام المُخنَّثْ
تظلّون أهلنا، مهما اختلفنا على التأويل.
14. حين تُمصمصون العظامَ،
تذكّروا، عظام أحبابكم، تحت الرمل.
15. سأترك الريح المنحوسة، تكملُ مشاغلها
إذ بقي للريح، أن تبكي على الخيول
على ركام أحبائنا، المتناثر في الريح.

- لم أكن وديعاً، كي أسامحكم،
وأنسى،
أحتاج لنهرٍ من خمر المرارات،
لحورياتٍ من كريستالٍ وزبيب،
لمصنع من دخان الأعصاب،
لمئاتِ الندّابات،
لبرميلٍ من عصير الشيح والجَعْدَةْ.
أيها الليلُ الذي كان طويلاً على امرئ القيس
ها أنت، لا تتموَّج، كالبحر العتيق،
لا تتقلّبُ كالأرامل، والمنفيين،
على الأسرة الخشنة، والوساوس،
وحيداً، تنهشُ لحمكَ الأفاعي الأخوية
ثوبك مسمومٌ،
مغروزةٌ حراب الروم، كالليل في عينيك.
أيها الجياعُ، بأسمالكم البالية:
كنيسة الزيتون، لن تطعمكم زيتوناً.
مريومة يا مريومة يا مريومة:
أيتها التلحمية، يا جارة الخلايلة الطيّبين
بذرتك، بلا تهليلةٍ، يلاحقها المجوس.
سيدي، وجاري، وابن جبالي
يشقّ أبواب مريام في موكب الفراشات،
على رأسه، سعفٌ وطيورٌ ونصوصْ.
مريومة يا مريومة
يا ابنة العنبِ الدابوقيّ،
انشري عطرك على شجيرات الجفاف
يا دائمة الخضرة، كزيتونة روحي،
روحي في أعالي شجر السنط،
النساء ينشدن أغانيك، قرب البلّوط:
1. قلبي أبيض، أبيض، كبفت الموتى.
2. طفلي، يختبئ بين العوسج والزعرور،
في بطانات السفوح الغربية،

حيث تتناثر الأديرةُ والروح.
3. دثروهم بأعواد النعناع التي في القُففِّ،
في بريد البحر الحي.
4. غطُّوهُمْ بصهيل الجياد،
بوشم البدوية، بقلائدها الحمر، كالنيازك
بأعشاب الإشارات ... والرموز.
5. أيتها الراعيات البريّات
خَبّئنَ قلبي، في مغاور قلوبكن،
مطاردون، مطاردون، مطاردون
فلينفلق العسكرُ من أسئلةٍ، بلا جوابْ.
6. كان يقول لي: يا هذا
انظر إلى أعالي الليل
فأقول له: يا هذا
إنها ذوائب الصفصاف.
7. كان يقول لي: يا هذا
انظر إلى حمرة الينابيع،
فأقول له: يا هذا
إنها منحدرات الدم.
8. كان يقول لي: يا هذا
انظر إلى سرادقات اليتامى
فأقول له: يا هذا
إنها أعراس وطبول وفوانيس.
9. كان يقول لي: يا هذا
أقطع ذراعي، إن لم يصلوا
فأقول له: يا هذا
سوف يجيئون أسرى.
10. كنفلٍ على طريق القارعة، مرميون
أطعموهم عسل التعب، وقرنفل الحرقة.
- لستُ وردةً حجرية في الصحراء
كي أصف لكم رسوماً، نقشوها في الصخر،
كي أكتب أبجدية المغاراتْ
قلت لها: حدّقي جيداً في المساء،
حدّقي جيداً في بقيع الخوف المشرّش فينا:
- الزجاج الأبيض، بطلاء أزرق.
الزجاج الزهري، بطلاء برتقالي داكن.
الوجوه البيضاء
تتعفّر برماد الأثافي.
النساء الورديات، بالقصدير.
النساء الكحلاوات، كحقول الصعيد
زينتهن سِخامُ القدور.
الفتيات اللواتي غرقن – حتى ضفائرهن،
في نرجس الماء
ركلوهن، حتى امتلأ القبو بالجثث.

رأيتُهنَّ من ثقوب هواجسي،
لكنهم لم يصدقوني
رخام منازلكم الأبيض،
شخبطوه، بأقلامكم السوداء.
شموعكم، كهرباء دهن الخنازير
تنقطونها، قطرةً قطرةً، كدموعكم، وتبتهجون،
أشجاركم، ورق تستوردونه، لتوزيع سمومهم
وتبتهجون.
قصائد البياض
املأوا فراغاتها بالطين والإسمنت.
اكسروا قوافيكم
ليس العتيقُ دائماً، نبيذاً،
أوزانكم، ليست لكم،
كفى صهيلاً على قبور الأجداد.
اليافطات الحمراء الملتهبة،
لا حاجة لاستهلاك الكلمات المسمومة،
وعوداً تبقى ... ولن تقع.
وفروا يافطاتكم، أكفاناً، لذلكم الطافح،
كي يصبح الموت مُبَجلاً ولائقاً
لا تموتوا كالبعران، في أقبية التردد.
لو كنت أملك مزرعة للأفاعي
لسمّمتهم وزيراً، وراء وزير
حربهم انتهت في عصير القنب، والخشخاش،
في ليلة الأفخاذ، والكؤوس،
عندما كان الغلابا، يتجرعون غضب الصحراء.
أيها الليل المعظّم،
حدائقك ينغل فيها، الدودُ والقيح،
أطفئ النور، يا ابنَ الكلب،
هل هناك نور لأطفئه، يا أبناء الخنازير؟؟!!
هل تركتم شعاعاً واحداً لنا
شقفةً واحدةً من ضوء بساتين الصباح
البحر الذي كان يعفس بقدميه الطمي
البحر الذي كان طازجاً، كدرّاقة ندية
صار جيفة آسنة، تعافها الجراذين.
الحاراتُ التي كان منها، يعبق الفلفلُ والبهار،
صارت تبيع الجراد، بأنواعه.
الأغاني التي تعجّ بجيوش الاستهلاكْ
علينا أن نسمعها، وأن نتجرعها، كالقيء.
الخطب التي كانت تغوي المارة
صارت بلا رصيدٍ في البنوك.
الدروس التي تُلقى في الجامعات
تليق بالكتاتيب، ومحو الأمية.
القصائد التي تمدح الأشرار،

ابتلعها الحبر الذي صار بحراً من الأرق.
الفقماتُ التي تهيأت في منتهى زينتها
نَفقتْ على سطوح التموجات.
المقاهي التي نذرنا لها الليالي
خفتتْ في ذهول اللغة العمياء.
الصحفُ ذات المانشيتات البرتقالية
صارت تومي لحريقٍ قادم، ضد مالكيها.
أية مدينةٍ تجرؤ على الاحتفال بالولادة
ليس هناك سوى أعالي الليل.
غداً تبدأ محاكمات الهامشيين
حتماً، سوف يجدون قرابين للنهر،
يهدونها،
يهدونها عروساً عجفاء،
كنعجة أصابها الجذام،
للماء والنار، يهدونها،
ثم يصفقون لانتقام يوازي الخديعة.
أيتها الغربان
أيتها الغربان، تعالي إلى حدائقنا
لنغني معاً، ما يلائم حشرجتنا الأخيرة.
علينا إذنْ
أن نرش الطرقات بحامض النار
علينا إذن أن نستبدل بأغاني الصباح،
تهاليل النعاس الذي ما بعده صحو.
علينا إذن أن نشرب الخروع والشيح
أن نفترش الصحراء، بدواً بلا قناديل
نتدثر بالجماجم، عند أقدام الليل.
أيها الليل العالي
كم أزلٍ، نراقبُ، حتى لا نرى آثامنا.
أيتها السروة الغالية في العزلة
اتخذيني وسادةً لدموعك التي تهرّ كالفراق.
أيها الثلج الأبيض، كنقاء قلوبنا
لا تتبللْ برذاذ غابات التيه،
أنت بوصلة البدء، حيث انفجار التردد،
أيها القنفذ المتكوّر، كقنبلة، بلا فتيلْ
لماذا أشواكُكَ ملساء، على طاولة المفاوضات!!
أيتها الريح الجنوبية،
لماذا أنت دوماً شمالية؟!!!
أيتها الغجريات الموشومات بعروق الأغاني
لماذا صُنوجكنَّ لا تلد الصهيل.!!!
أيها البرلمان البريُّ الأخضرْ،
لماذا أنتَ، كالطحين على شجر العوسج!!
أيتها القصيدة المنثورة، كالفلسطيني
لماذا تحنّين للوزن والقافية، كالمديح؟!!!

- ها هم، ورودٌ ذابلة كالأماني
يُلملمون أشلاءهم، وإذاعاتهم، وصداعهم المزمنْ،
كي يصوغ الأوغاد، مرثية الضوء
ها هم يُشرّعونَ لقبائل الكلام.
منذ الآن: احفروا مزيداً من القبور
معاً ندفن الذل، ونكلّله بأكاليل الغار.
غداً، يقتسمونكم على الطاولةِ،
حِزّاً، حزّاً،
ويلتهمونكم، كقواقع الجزر البحرية
إذا لم تنشدوا معهم، نشيد أعالي الليل.

- سأركب فرسي البرتقالية،
أبحث عما يصلني برذاذ الليمون.
سأركب حصاني الأخضر،
أبحث عن عنب قلبي.
سأركب فرس الفراسة،
أقتفي آثاراً على الرمل، لم يرسموها
أبحث عن قناديل، لم يُدجّنوها بعد.
سأركب قارباً من خشب كنعان،
أبحث عن جزر الكتابة المنسية
أواصل الدندنة على عودي
في خرائب جفرا التي قيّدوها بالسلاسل
في مغارات الخوف الطحلبي
أخاف عليك من الوحوش ذوي القربى.
سأركب فرسي الحجرية
ألملم أجزاءكِ المتناثرة في الريح الفاسدة.
لم يبق لي،
غير التفتيش عن خارطة الرموز،
عن العلامات التي تدلّني عليك.
أعيد سبكك، كنجمة وضّاءةٍ، كالخيار الجبلي
أواصل السُرى في أعالي الليل
كلما غنيت في الوحشة، اطمأن قلبي.
أرى الشمس، وراء قطعان الغيوم
أيتها الحقول الحزينة من أجلي
أي مكان، لم تطأه بلاغتي
أيتها السرخسيات التي تنمو في الضوء الأسود،
أمر فوق حصاني الأكحل
أرفع قبعتي في ظلال النوم
أكتشفك بعصاي، رغم الحلكة
أغرزك فوق الجسور، عند مفارق الطرق.
الأيل يراقبني، ويراقبكم
هل ترتخون لمصائر خارطةٍ، حدّدوها لكم
أو، أن ترتجف الذرّات، تحت أقدام رغباتكم.
حتى ذلك الحين،

احفروا، احفروا، لمزيد من أشجار الزبد،
لمزيد من خطب الليل،
أيها الليل العالي، كأعالي الليل.

وهل بقيتْ في المدينة حدائقُ أيّها السيّد؟!!*

(إلى ... برتولد بريشت).

1. تركة:
أطلعني أبي على وصيّتهِ لنا
كان نصيبي منها ... أيّها السيّد
رسالةً ... تتنبأ لي، بمنفىً جديد
منفىً جديد، أيّها السيّد!!!. (1)

2. توفير:
طلقتان في الرأس، لا تكفيانْ
عاجزاً سأكونْ عن الطلقة الثالثة.
ثم فجَّر طلقته الواحدة
كي يوفر في لحظةٍ، طلقتينْ
كي يوفر للشعراء – الذي يرغبونْ.

3. مُتحف قانا:
قانا ... يا ... قانا ... يا قانا
ثدياكِ مِشمشٌ، أمعسهما، كقمر الدين
قانا يا قانا يا قانا
هل محوا آثاري، تحت قرميّة الزيتون؟!!
قانا يا قانا يا قانا
هل اعتصروا نهديك، حتى فزَّ الدم؟!!
قانا
ألم أقل لك ذلك من قبل.!!

4. إعادة صياغة:
ما اسمك أيتها السيّدة؟
- عندليب الصباح، أيها السيد.
- فمها، كخاتم سليمان،
ساقاها، كغزال شارد في البريّة،
- سأشتري الثمار كلها ... يا سيّدتي،
فرحتُ، وأنا أحمل سلالي، وراء السيّد.

---

(1) اختتم المخرج الأمريكي الشهير، أوليفر ستون، فيلمه السينمائي : شخصٌ غير مرغوب فيه ، 2003 ،
بهذا المقطع الشعري، في ترجمته الفرنسية، على لسان الفلسطينية مدام بلانش .

- واحسرتاه، ممزقة الأثداء، عادت سيّدتي
لكنْ ... شامخة الرأس.

5. ڤيزا:
يا لسمرتي الحزينة،
توقفني دائماً في آخر الطابور.
يا لجذوري المرتوية بالدم،
تمنعني دائماً، كأنني شُبْهة متنقلة.
آه يا سيّدي، لو كنت سائحاً أشقر
ما رأيكَ يا شرطيَّ الحدودْ،
لو صِرْتُ سائحاً أشقر!!.

6. طفولة:
عِمي صباحاً ... يا عصافير الخليل
ورفرفي ... على الصخور الجبلية
ناصبُ الفخاخ في المنفى.
أمّا الأعداءُ، فهم لا ينصبون الفخاخْ
لأنهم يحبّون القتلَ بالوسائل الحديثة.
7. مزاج السيّد:
لنفترضْ، لنفترض، لنفترضْ،
مثلاً، مثلاً، مثلاً:
أنَّ مزاج السيّد،
كان مُعتكراً، في ذلك الصباح
لنفترض،
بأنَّهُ ... أعادني من المطار، بتهمة الوقار.
لنفترضْ،
أنني مازحتُهُ، بنكتةٍ ملغومة.
- ستذهبين إلى البحر، وتغتسلين منّي.
هل تذكرين،
حين مَصْمَصْتُكِ، مثل أجنحة الدجاج.

8. دعايات:
قال الذي سيُعدم غداً للجلاّد:
هل تمنحني قلماً ... وورقة؟
صرخ الجلاد: ممنوعٌ طبعاً، ممنوعْ
القانون الدوليُّ، يحرّم ذلك.
- لكنهم في بعض سجون العالم
يعطون ورقة، وقلماً ... وجرعة ماء
- تلك دعاياتٌ ... لا تصدّق ذلك!!!
لا تصدّق ذلك، أيها السيّد.
9. يحدث دائماً:
كم أنت لئيمٌ، أيها البحر
الماءُ يدلف من كفّيكَ إلى ساقيها.

كنتُ أزغزغ، ما بين الأذنينْ
وأجاملُ ما بين الساقينْ
جاء الرجل الآخر، بعدي، مَزْهُوّاً
فتَوَهَّمَ أنَّ هذا ... يحدث لأوَّل مرّة!!!

10. أعذار:
ليس لي رغبةٌ في الموت، أيُّها السيّد:
- لأنَّ لديَّ أعمالاً، لا تُحصى:
الغرفةُ تحتاج للتنظيف،
رسائل أمّي، لم تصل بعد،
عيني اليُسرى ترفّ،
فقد تجيءُ جفرا القتيلةُ، غداً.

11. ديا لكتيك:
أغربُ ما في هذا الكون الفاني
أنْ أفنى أنا ... ويبقى الكون الفاني.
قلبي يحدثني، أيها السيّد
بأنّني سأصبح، دالية في الخليل،
أو زيتونة في بيت لحم،
أو مطعماً بحرياً في حيفا،
أو أرْزَةً في أعالي لبنان،
أو كتابة في نصوص رأس شمرا،
أو قلعة في الكَرك،
- سأتحول إلى داليةٍ، تتشعبط أسوار مريامْ
ما رأيك أيها السيّد؟!!

12. سياحة:
- أيّها السيّد، أيها السيد، أيّها السيّد ...
صاح بي، سائحٌ قادمٌ من بلاد النخيل
- هل تتكلم العربية؟
قلتُ: يا سيّدي، صُغْتُها،
قبل أن يُدرّسَها الآخرون
- مطعماً من نبيذ بلادي، أريدْ
قلتُ له: اسمعْ، أيها السيّدْ
عُدْ إلى بلادك، لا تبحث عن التشبيه!!!

13. افتراض:
أفترض أحياناً، ما يلي:
ماذا كان سيحدث، يا تُرى
لو أنَّ امرأةً ... مثلاً،
لو أنَّ قصيدةً جديدةً ... مثلاً،
هبطتا في ليلة المجزرة
على فلاديمير ... ما ... يا ... كو ... فسكي

ماذا كان سيحدث ... يا ترى؟!!!

14. استفزاز:
أيُّها السيّد، أيّها السيّد ...
لماذا تسكر هنا؟؟
- لم أذق الخمر في حياتي ... أيها السيّد.
- إذن ... لماذا تبول في حدائق المدينة؟؟
- وهل بقيت في المدينة، حدائقُ أيّها السيّد!!!
- إذن ... لماذا تنصب خيامك في الملعب البلدي؟؟
- لأنهم احتلّوا، مسقط رأسي، أيها السيد.
- عُدْ إلى مسقط الرأس، أيها السيد.
- وهل تركتم لي، رأساً، أو مسقطاً ...
يا أولاد الأفاعي؟!!!
15. (شجاعة !!!):
في مقعدٍ واحدٍ، جلسنا ...
نظرتُ باشتهاءٍ، ثمّ َ واصلتُ صمتي،
أغلب الظنّ، أنّها قد فعلتْ مثلي،
وعندما توقف القطار، في المحطة الأخيرة
جمعتُ شجاعتي، وقلت واثقاً: أيتها السيّدة
وداعاً وداعاً وداعاً،
أيتها الفتنة المسافرة.!!
فدهشتْ السيّدةُ من أمر السيّد
ودُهشَ السيّدُ من أمر نفسه.!!

16. استنفار:
منذ ثلاثين سنة ... أيّها السيّد
ونحن نَسْتَنْفِرُ القلب.
حين تأتيك الحراب، من خلفك، ومن قُدّامك
تأتيك من شمالك، تأتيك من يمينك؟؟!!!
- أجلسُ القرفصاءَ ... حتى تمرّ العاصفة.
- وإذا هاجمتك الحراب من نهر شراييِنك!!!
- أسْتَنْفِرُ عليها، جمجمتي.
- وإذا غَدَرتْكَ الحرابُ من الجُمجُمة!!
- أستنفرُ عليها القلب.!!
- منذ ثلاثين، ونحن نستنفرُ القلب.!!
نستنفر البرتقال في سلال الرحيل الطويل
بعد ثلاثين هزيمة.!!!

فافلتكِ ... وشربت كأس الخليل!!

1. قصيدة الحجر:
وما رميتَ إذْ رميت،
ولكنَّ الطفلَ رمى،

حجراً، في وجه الجنديْ.

هذا زمن الحجر الذي لا يظلّ ملموماً،
وقت الحوادثْ
القرى تنفضُ غبار العثمانيين،
الجليل، يمدُّ لسانه:
كان إبراهيم غريباً،
بلّلنا جفاف شفتيه، منحناه قبراً لسارا
في سفح جبل الجوهر في حقل أبي.
وأنا جالسٌ على حجرٍ،
قرب خرير الأنهار في غابة المنفى،
توشوش جراحكم في قلبي المتعب من الترحال،
أسلاكٌ تنخر عظامي، أجراسٌ تَطِنُّ في البال.
مدامعُ العشاق في جذور صفصافة غريبة،
نجمٌ مطرود في مغاور الأعالي.
أرسلتُ لجفرا، مكتوباً سريًّا في سلّة تين،
أقولُ ملتقانا، سهل الغزلان،
اتركي آثارك، قرب العريشة، عند نبع الدم
أتبع آثار حبيبي.
سأجيء إليك، ضيفاً ثقيلاً في منتصف الليل،
اتركي علامة، قرب دالية الأسرار،
قولي للرعيان،
أن ينشدوا أغنية الأرجوان، بمزاميرهمْ،
بمزاميرهمْ
أو ... أقترح التالي:
قولي للغيمة، يا غيمة القرنفل،
هل تتركين حبيبي بين مخالب الوحوش!!
عندما ينشقّ الصخر، تمطر الأرض، طيوراً أبابيلْ
وأكون بذلك،
قد كتبتُ قصيدة الحجر.

2. بعثات دراسية:
في مطعم فندق العشب،
رفعتُ كأسي في صحّتِه الصفراء،
رفع كأسه في صحتي البيضاءْ،
رفعنا كأسينا في صحة الخليل.
بكى حبيبته القديمة، واستقال من السؤال.
هل أرسلوك في بعثةٍ دراسية؟؟،
وأكمل، وهو ينفث سيجارته: مثلما أرسلوني.!!!
قلت: أتعلمّ اللغات، مثل جدّي كنعان،
الذي كان يلاحق الجليليّات،
بثيابه المزركشة، وفرسه البيضاء.
أبكي قرب أثافيّ الأعراب الذين مرّوا من هنا.

حينئذٍ،
دقّ كأسه، فانشقَّ إلى عشرين.
نهرس لوز رام الله، بين أسناننا، بغيظ
- ... وسور عكا؟؟
- يا خوف عكا من هدير البحر!!!
- وبكى، حتى أيقظنا ديكُ الفجر،
ضجيجُ الترامْ
قال: القهوة، سيّدة الأحكامْ.
قلتُ: القهوة، سيّدة الأحكامْ.
- أخشى أن نتقابل في بيروتْ
- أخشى أن نتقابل في البيت الحرام
- وضاع في الزحامْ
ولم أره منذ سنين،
وبالضبطِ،
منذ ثلاثين عاماً وعامْ.

3. أوروبا ترقص:
تستيقظ أوروبا من جرار النبيذ الذي جرى الليلة الماضية.
أكونُ مستعداً لسماع،
وقع صداك البعيد، في رقصة السماح.
صباح ماطرٌ ... سيّدتي تصطلي بنار الموسيقا.
أودّع عذابي، برقصة المتوحشات،
تحت ضوء الغابة:
- (الرقص حنين الأحفاد، لِهرْس عظام الأجدادْ
الرقصُ ... أنا والفتنة في الميعادْ
أشواقُ عبيدٍ، لمخاصرة نساء الأسياد).
أشعل أوتار حنيني، وسياجَ مدامع أهلي
إضاءة عابرةٌ، لا فرق، أغداً أرى أمي؟؟
موسيقا، يا موسيقا:
وهج الشرق في شراييني،
توقٌ للبوح، قرب أسوارِكِ،
تلويحٌ لعصافير، ترتعش على جدار الكنيسة،
استرخاء شجرة بلّوط في ساحة منتصف القرية،
شيوخٌ يلعبون الورق،
يقيسون امرأةً عابرةً، بالأشبار.
سأنظّمُ أحزاني، كجوقة نواطير الكرم.
المطر يسحّ في سماء خاصةٍ،
في مزابل الطفولة المليئة ببذور التمر.
البحر الميّت استيقظ من رقاده الشتوي،
وناداني.
أوروبا ترقصُ، تمطرُ، تشربُ، ترقصُ،
وأنا موحش خامدٌ في مقعدٍ من خشب الزان.
نهر الليطاني، يُسرْسبُ ماؤه، يسري

كنبيذ الليل الموحش في دمي الآن.
تشبهين ارتجاج شراييني، أمام حبٍّ جديدْ
كلما وصلتْ رسائلُكِ، بيضاء، دون رقابة.
ها أنذا أغادر قاعة الرقص ... وأوروبا تغرقْ
في النبيذ والموسيقا.
في النبيذ والموسيقا.
موسيقا يا موسيقا.

4. أرتكبُ حماقاتي ... وأعود إليكِ:
خشبُ التفعيلة يغريني
ببناء نصوص في قاع سرير الفتنة.
أذهبُ حَرْداناً منكِ، أعودُ إليك.
صَفَنْتُ – يعني وضعتُ يدي على خدّي
قرب ضفة النهر الغريب،
في الضواحي الموحشة.
أنا – عزالدين المناصرة:
سليلُ شجرةِ كنعان، وحفيدُ البحر الميّت
قبطانُ سفن الزجاج المحمّلة بالحروف
أسافر في مدن العالم، كحمامةٍ زاجلة،
أحمل رموزاً ورسائل،
من بني نعيم إلى دالية الكرمل:
هو قلبي الذي يتمدّد، تحت بساطير الجنود الغرباءْ
شلاّل دمي في عاصمة برتقالية، صهيلٌ كالمهر
ولا أشكو،
فالشكوى ... لغير (الخليل) ... مذلّة.

5. غافلتُكِ ... وشربتُ كأس الخليل:
أسئلةٌ، لا تلقوا، أيها العشّاق ...
فالخليلُ عنبُ دمي،
وإذا شئتمُ الوضوح:
قشٌّ، حصّادون، ومنازل مهدومة
الخليل، عصافير تُنقّر لبَّ الرمّان،
استيقاظ ثعالب الوادي،
هديل حمائم في أعالي الصخور،
سجون، بركةٌ تستلُّ هديرها
من عروق الجبل. رُعاةٌ، حرّاثون، وثوّار.
من جهتي – الله يعلم: في حضرتكِ، يتلعثم لساني
لا يهمُّ العنب، أن يتأكد من صحّة نسلهْ
تلك مدنٌ تعارفوا عليها في زبد البحر
أعرابٌ يبحثون في زبد البحر عن الماء.
مُمثّلنا في الضوء، أنتَ،
ونحن ممثلوك في الظلام.
سوف أبدأ، وأنسّقُ القافية مع الرَوِيّ واللوز

ثم أصل إلى نتيجةٍ ما:
الحجرُ قافيتي ... والقنبلةُ الرويْ
سأنتحي جانباً، لأقول، ما قاله جدّي كنعان،
قبل انحلال الشرايين، وفُرقة القبائل، قال:
- الحدائقُ لمن يغازلها.
هل أعجبك التأويل يا مدينة العنب.؟؟
ما ... لمناديلكِ زرقاء!!
للنسيان مقاماتٌ عالية!!
- أتركُ مساحاتٍ بيضاء،
لكي يتغزل الشعراء:
الحجر، سلامُ الأرض،
الحجرُ قصيدتُنا العصماء.

لا تغازلوا الأشجار حتى تموت

(توقيعات)



1. انتخابات:

مازال ... ما انفكّ ... ما برح
مازال كنعان في القلعة القديمة،
تحت أنقاض البيوتْ
بلحيته البيضاء،
سمعنَهُ اللواتي، عُدن من النبع،
بعد غروب الشمس،
سمعنَه، يُتمتم التعاويذ في حقول الدم،
سمعنه في حلق الوادي،
يغنّي لشجرة البوملي،
كلُّ حبّةٍ ... نهدٌ مشرئب إلى الأعالي
رأينه اللواتي عُدنَ من مجزرة الدور المنسوفة
يتمشكح، كالبطريق، مُستنداً على جذع ناشف
البحر يغرف الرذاذ، ينعفهُ على الغابات
رأينه يفزُّ من ضريحه الممتدّ في القرى

فرسه حمامية اللون، وسترتُهُ زرقاء
تعدو في السهول والبراري
لكي يستيقظ المرج من نومه، في مغارة الصدأ
فَزَّ المرج، شاهراً جماهيره
ظلّ صوت كنعان، يدوّي في الساحل
حتى،
حتى جاءت النتائج مُشرّفة في الانتخابات.

2. تدفئة:
ما لزفير الثلج، يُهدّدنا بالقتل،
نحن الأعرابُ، قدِمْنا من رمل النار،
نجلس خلف النوافذ، عند أقدامك يا أبيض،
نتلذّذُ بالمارّة في طُرقات الزمهرير،
ونهتف قرب التدفئة:
سبحانَ التدفئة.!!

3. عطلة صيفية:
قال لي:
عملتُ حمّالاً في ربّة عمّون
أصعدُ جبلَ السرور، حاملاً طفولتي الشقيّة
سيدتي، احذري، على مهلٍ، خُذي بيدي
بعدها، تنهرني، صائحة:
لا تلمسني في قاع العالم.
أشعلتْ سيدتي قلبها، ثم أضاءته بشيء أحمر
رأيتُ فواكه صدرها، مجلّلة بالندى
قرَّبتني ... سال النهر، وأنا ألهثُ ... ألهثُ،
أتطلّعُ إلى شفاهها المطليّة بالحنّون الصناعي
أحلم ببدايات العام الدراسي الجديد.

4. اندماج:
يا شجرة المنفى، إنني لا أنوي الإقامة
لكنّ البرد شديدٌ جدّاً، ضُمّيني بين فروعك،
حتى أرتاح،
أدخلُ في جوهرك الصلب، أمتزجُ مع الترائب،
آخذك ... أمضي مع الريح
شجرة المنفى، يا شجرة المنفى
أقدامهم، أصبحت جذوراً في الهواء
نبيذهم دماء
دندلوا سيقانهم بطمأنينة، عند حافة البركة
أمّا أنا ... يا شجرة المنفى
أنا لا أنوي الإقامة
سأظلُّ على الخط الأبيض،
مثل أهل الأعراف.!!!

5. العصفور ابن الطائر:
قفز العصفورُ ابن الطائر، فوق الشجرة
قاطعني بالنواح على أحبابه الراحلينْ
الطائرُ ابن الطائر، ابن الأفعى، ابن الكلبة
أيَّ رحيلٍ، لم يكن فيه أحبابي؟!!!

6. مقبرة الشهداء:
في هذا الصباح المبكّر جدّاً،
زرتُ الأموات الأحياءْ
الجبل الأزرق،
كبحيرة السماء الرماديّة الخضراء
الأرزةُ عالية، جذرها في الأغوار
بدأ البحر يصحو،
كعروس في الصُبحيَّة الأولى،
غازلتُ الحبق المتناثر في مقبرة الشهداء
اتعظتُ قليلاً بالذين ذاقوا التجربة، قبلي.

7. لك المجد يا امرأ القيس:
سوف أقول لكِ شيئاً غامضاً، كالأسرار
سوف تتذكرينَهُ، بالخير، أو بالشرّ،
لا يهمّني ... يا جفرا
إذا كان قلبك من أرجوان صور
أو كان من زجاج الخليل الملوّن
أو كان قرميداً في اللاذقية
أو رمالاً، في زجاجة وادي الأنباط
سوف تقولين يوماً ما .... يا جفرا:
لك المجد يا امرأ القيس الكنعانيْ.

8. لا تغازل الأشجار ... حتى أعود:
أصفر، أصفر، كالغيرة والفراق
هكذا كان وجههُ الإجاصيّ، وقت المساء
أشقر، أشقر، أشقر، كتنباكٍ عجمي،
كزبيب الخليل،
يا مجنونة القلب والشرايين.
- لا تغازلْ، سماءَ الجليد،
لا تغازل، أشجاراً مثمرةً مسمومة،
لا تغازل، أفعى الماء الشقراء،
لا تجدلْ لها، ضفيرةً من عساليج العنب
لا بأس، إذا غازلتَ شجرةَ الحُمّى
لا بأس، أن تشربَ كأسكَ، حتى النزف
آخر الليل، ستقول لي:
- بعد المطر، تأتي العصافير يا رفيق
مبلّلة الريش، ليس لك سوى ارتعاشها

لهم البحر، وحيتان البحر
لك زبد البحر الأبيض، يا هذا
لهمُ الثروات الفضيّة،
والفيلات الغامضة السحرية
لك متعة الخديعة، والفُرْجة، يا هذا
لك قبرٌ في المنفى، تحت الشجرة، يا هذا.
- (حقاً، إنه زمن أسود
يا برتولد بريشت).

9. التشبيه:
يقتلني التشبيهُ على أرصفة المنفى
تسحقني أدواتُ التشبيهِ،
أدور باتجاه النواة،
فتحاصرني الاستعارةُ الصفراءْ.
أزرق، أزرق، نبع الجبل العالي
بيضاء، بيضاء، سوالف الهضبة
قلبي ينزّ طيناً أحمر، من وقع المحراث
وأنت تهزئين مني، قائلة: أيها الرومانتيكي!!!

10. حالة بوشكين:
مدنٌ تَقبلُني، مدنٌ تطردني ...
أنتِ تآخيتِ مع الصبّارْ
تعتريني الكآبةُ، حين يجيء الشتاء،
أقول: لماذا هو الثلج أحمر
عندما يُذرذر قطنه الوطني:
من مطار صوفيا إلى جبل الفيتوشا
تفتح المدينة بابها لشجر الكرنفال
أيها الأمميُّ المُزمّل بإيديولوجيا الفقراء
تتكلم لي عن ثلج الأيام الآتية،
لتواسيني،
خَبَبُ النوق في رمل شراييني،
أثافي الرحلات الغابية اسودّت، وأنا أعدو
أعدو في الطابور الطويل، مثل كل الأعراب
كانوا يا جفرا،
يجرّونني، نحو قبو التعذيب الثوري
غرْغرَ الدمُ في فمي
اللصوص يُعدّون حقائبهم، باتجاه الفراديس
من أراد منكم، أن يغرق في التفاصيل:
فليقرأ ... حادثة بوشكين.

11. استقبال:
في القاعة الرسمية
كان الحواريّون، يؤدون صلوات إضافيّة

وأنا، لا أعبأ بالسيّد المُطاعْ
أنا كعادتي الرديئة
لا أريد أن ألتزم بالقافية العرجاء.
كان الثلج يَنِثُّ على شجيرات دائمة الخضرة
كانت العاصفةُ، شاهدةً يا حبّي.

12. المتنبّي؟!!:
أعددتُ للشعراء برادعهمْ، ومضيت
السمُّ الناقع، وزّعته في الكؤوس الفضيّة.
زَعَمتْ الكذّابةُ، بنت الكذّابة، بنت الكذّابة
أنني غير قادر على مواجهة الفاسدينْ
صرختْ في وجهي قائلة: يا هذا، يا هذا،
ألست أنت القائل: ...... !!!
- حينئذٍ، تَسلّلتُ في غابة الوحوش،
وتوجهتُ نحو حتفي.

13. لصوص الأوسمة:
حين تُدوّي طبول الحرب
نُهرعُ، لنَسُدَّ ثقوب أقفائهم.
حين نُعيد صياغة كنعان الجبليّ المرميّ على الطرقاتْ
حين انفجرت حوريات البحر الميّت في القاعْ
زعموا بأنّه، جدُّنا المشتركْ.
حين تبدأ الأعياد الرسمية، في قاعة عبد الناصرْ
تركضُ الطواويس، بريشها البراق، إلى الصفّ الأوّلْ
أما نحن، صقور الشعر المنثور، على كتفيْ كنعانْ
نُدعى – والحق يُقالْ
للزينة في القاعة،
لزيادة عدد الطبّالين.!!!

14. عوامل التعرية:
قدمي اليُسرى، أصابتها شظية في الحربْ
يدي اليُسرى، تزحلقت على ثلج الصابون
عيني اليُسرى، أزعجها لصوص القبيلة
أمّا قلبي المجروح الذي يكسدر في العزلة،
فتلك عوامل التعرية،
عوامل التعرية، ... يا جفرا.

15. المُخبر في المنفى:
يلْحسُ الذكريات المُرَّة
يتمسَّحُ بأطراف حذائي المُهترئ من التجوال،
حتى هنا في المنفى.
المخبر الذي عذَّبني، عذَّب أبناء شعبي
أنتقم منه يا جفرا ... بقلبي

وأنا أستطيع، أكثر من ذلك.
يمرُّ في مطاعم الغربة، مقهوراً مثلي
هل تصدقين يا جفرا، أنَّ الأرض تدور.
رأيتُهُ في آخر الليلِ،
يُلملمُ القِمامةَ، ينبشها كالكلبْ
أشفقُ أحياناً عليه، في سرّي،
لأنّه أصبح غريباً، مُعذَّباً، مثلي.

16. نهر الليطاني:
بعد سماع الأخبار، أزداد غمّاً،
يكون لي نصيبٌ من القهر،
كأيّ مواطن صالح.
أستحضر نهر الليطاني في فنجان القهوة،
أرسمه فوق حرير الأشجار،
النهر الذي ينبع في هذي اللحظة من قلبي،
ويصبُّ الآن في مدينةٍ، كالحديقة،
تُدعى صوفيا.

17. جفرا ... التي في أريحا:
- لماذا بدأ قلبي بالرفيف، أيتها الجرسونة؟
- لأنني أشبه جفرا، التي في أريحا، أيها الفتى.
- أذكر سمرتك الحنطية يا جفرا
إن مَررْتِ بأعالي الدير، فوَشْوِشيهْ
ولا تغازلي، (عين السلطان) ... حتى نعود.

18. عروس البحر:
وددتُ لو أستطيع، أن أنقلَ مدينة الحرائق،
إلى مدينة الحدائقْ
كي ترجعي بيروتْ.
لا تغازلي الأشجار ... حتى أعود
فأنا ضالعٌ في مؤامرة الحنين الأبديْ.

19. حمامة مُحَجّبة:
حمامة بُنيّة مُحجّبة،
تتجلّى في عُشٍّ على شجرة الأسكيدنيا،
منديلها أبيض، كالأقواس الأندلسيّة،
الحنّاءُ على أظافرها،
سرقته من المرجان البحريْ،
هزّت منقارها، فانتثر الثلجُ على رأسي.
حمامة بنيّة مغرورةٌ، تُبرقِمُ، كامرأةٍ ثرثارة
لا تنثري الثلج على رأسي، يا امرأةً ثرثارة
قالت: أتُغازلني ... أيّها البدويُّ العابر؟!!
فَعَطتْ بالصوت الفاجر،



لم تشلح، منديل الكذب الأبيض.!!!

نشيد الكنعانيّات

يفترسُ النمر جنازير العُزلةِ،
يُخرمشُ الفضاءْ
يقرأ الجريدة الصفراء، تحت شعاعات قناديل البحر:
- كنتَ تبدأ قصيدتك من الصفر الأصفر،
نحو جبل الوحشةِ، حيث الغيومُ، فاكهةُ الرذاذْ
يهربُ النصُّ منك، أرنباً بريّاً، يقطع الطريق،
مُسرعاً، كالطلقة المجنونة، التي وزّت قرب القلبِ،
مُتّخذاً وسادته حجراً، لا يفشي الأسرار الذهبية
مُنجعياً قرب الصخر الأبيض،
قرب برَكِ سليمان التي في الشرايين،
مُتكئاً على الصخر الورديّ،
المُنَقطِ باخضرار السماحة
هل أمزّعُ وشاحي، المتسخ، من طول الترديد:
(العام القادمُ في أورسالم)؟؟؟
حيث ... لا أكتفي بهذا.
- فزَّ الهُدهُد بين جدائل القمح،
حين سمع خَرْفَشَةَ أقدامي
ويلٌ للهدهد، ما أشدَّ حمقه ...
أنا لا أنوي الإيذاء ... واللهِ العظيم
إنني أبحث عن الأرنب البريّ بين النصوص.
سأستنفر الصيادين عليه،
أقيمُ له الحواجز،
بياضُه، كتابة، محاها حبرُ المغول السريْ
بياضُهُ، نقوشٌ، علاماتٌ ... ورموز
بياضُهُ، خوفُ رضيع، بأسنانه الحليب
بياضُهُ، جُلجلة وصليبْ
بياضُهُ، غزالةُ العرقوبِ الأبيض
بياضُهُ، أشدُّ بياضاً من البحر الأبيضْ
بياضُهُ، أبجديةُ الرمل العتيق.

- سأصطادك أمام الكنعانيات
أقول لبنات الخليل: ارقصنَ، ارقصن،
سِواراً، أقمن، حوله في بريّة، حتى ...
(حتى يرى الأرنب البريُّ، عذارى النبع،
يتطلع في عيونهنّ الزرقاء،
كزهرة الحِمْحِمْ،
ينعسُ في المساء، تحت سحر الدفوف.
أكونُ قد دفعتُ مُسبْقاً، مَهْرَ القصيدة

عندها، ستجيء القصيدةُ، كالولد الرضيعْ
تركع عند قدمي اليُمنى، ضارعة ... ومبتهجة.).

غفطتُ الهدهد، مُرتكباً حماقته،
مُتسللاً في حلمي، قرب الصفصافْ
مُدَّعياً، أنه قادر على استفزاز طفولتي
تلك الراقدةُ في مراح الغزلان،
تلك المنثورة،
في مسالك كروم العنب الدابوقي الصديقْ:
- (مَرْمَغْتكِ، فوق سرير العشبِ،
وأطعمتكِ من ثمري
مع هذا، انكسرتْ عيناي،
ولم تنكسري).
- ماذا أقول للكنعانيات في المدن الخرساء،
حين غفطتُ الهُدهد، مُرتكباً حماقته،
فوق حائط الكرم العتيق،
حيث الطحالب ذكرى،
مُحاولاً أن يُنقّر ثمار الرمّان في قلبي.
مسافاتٌ بين مراح الغزلان، الممتدّ كصاريةٍ،
كحارسٍ أبديٍّ للبحر الميّتْ،
وبين صوفيا، المنتظرة، ثلجَ الجبل، حتى يذوبْ
ليداوي جراح الأميرة التي أعْيَت الأطبّاءْ
ثم لا نكتفي بهذا، يا هذا.
ماذا أقول للكنعانيات الواقفات، تحت أشجار الحور
أأقول ... لو أستطيع أن أكون قُربكنْ
على مرمى حجر، من قبر جفرا؟؟!!
أأقول ... لو أنكُنَّ لَمْلَمْتُنَّ الحنّون والفيجن،
واسع الشهرة بين القبائل،
والغجر المرتحلين بقيثاراتهم
قرب عين الماء؟؟!!.
كانت جدّتي، (عناية بنتُ كنعان الآراميَّة)
تحرق الغيث في البقيع، حيث الجرادْ
أيها الهُدهد الواشي، كعلامة الرصد الذهبيّة
عندما هجمتْ غيلانُ الثلج على حقل الزيتون:
- (ليكن في علمك، أيها المغولي
لن تستطيع اختطاف ولدي، للتجنيد الإجباري،
حتى لو بلغ السنّ القانونية).
وحدنا يا جدّتي، من يصون للهدهد ذكرياته،
بعد أن تصبح العظام رميماً في الصحراء،
وحدنا يا جدّتي من يفتح عين الماء،
ثم لا نكتفي بهذا ...

سافري ... أيتها القصيدة

حيث تشائين، سافري ......
ضفائرك لي في النهاية، سافري ...
اشربي، اشربي، اشربي، أيتها القصيدة
من ماء أي بحر تريدين، اشربي
ستعودين إلى البحر المتوسط الأحمر الميّت
أيتها القصيدة، سافري ...
ليكن الأرنب البريّ، قرباني تحت أقدامك يا جفرا
ليكن الهُدهد، علامتي، لفكّ رموزك، يا جفرا
ليكن النشيد والطبول، في ساحات لَسْنَ لنا:
- (في عرسك: الحِنّاءُ من دمك الغزيرْ
وعظامنا ... حطبُ القدور).
- على الأطلال، وبين الدور المنسوفة،
المختومة بالصمتْ
نقف متشحات، بقمصان الدم،
نبتردُ بماء النبع الذي جفَّ حلقُهُ
من صراخ العساكر المارّة في الليل.
لا الوعود ... عادتْ تزرع لنا
شجرةً في ساحة الدار
لا مسالك الوهم، وجهتنا
نصلّي الليلة لشرايين أرض كنعان
رشرشي الغيث من قِرْبةِ السماءْ
سُحّي يا أمطار أجدادنا على الوهاد
اهطلي، اهطلي، اهطلي في القُرى،
الدخانُ ... كوفية ورغيف.

- (يا بنات الخليل اللواتي، يُكسدرنَ في الكرم،
مثل الغزالات، عند المساءْ
يا مساء الصنوبر، مرتعشاً في الفضاءْ
يا صباح الثياب الملونة الفائرة
يا صباح البياض المزركش بالخضرة الزاهية
يا صباح الصُدورْ
يا صباح القرنفل، فوق الثغور).

- يتمشين قرب السرو والصنوبر العتيق،
في عين سارا:
لسارا، عينٌ زرقاء.
لابن رشد، مدرسةٌ في الحنينْ.
للمتنبّي، شارع أخضر للعاشقين.
للسرخسيات، صهيل فضّي.
للكرمل، دالية تتشعبط داري في المنفى.
لقلبي، بحرٌ ميّت، ينفجرُ قريباً جدّاً جداً.
للوعد، سماءٌ مُعتكرة.
للخليل، نبيذٌ عتيقٌ.

عنبٌ طازجٌ، زجاجٌ مُلوَّنٌ، ومساجد عتيقة.
للغلاييني، شواءُ البحر، زعيقُ النوارس،
قواعدُ للنحو.
لفيصل، مطعمٌ أنيقٌ، كتنورتكِ الوردية.
للحمراء، حذوةُ حصانٍ، ونقوشٌ،
وصهيلٌ تحت سوالفها.
لبيروت، أرْزٌ يفترع شوارعها.
لعشيرة العدوان:
نمرٌ مجروحٌ يستيقظُ في الفجر،
على ردْن حبيبته، وَضَحا البدويَّة
ينشد أشعاراً بالفصحى الكنعانيّة.
للأنباطِ، مُدُنٌ نحتوها في صحراء القلب المذبوحْ.
للرازي، مدرسة إعدادية.
لحليم الرومي، ألحان، وتلاميذ يركضون في السهول.
لوديع البستاني، أشعار سريّة.
للكنعانيات، قبورٌ وقبورٌ وقبور وقبور،
للكنعانيات، نصوصٌ حزينة،
للكنعانيات، ثيابٌ مُطرّزة بالشهداء،
للكنعانيات، ضفائر مجدولة،
للكنعانيات، مناديل، كعشب الله،
يا والت ... وايتمانْ،
للكنعانيات، رموش من سحر البحر.
يا صباح الهُدهُد، فوق الشواهد، ينتظر الانتظار.
الغُزاة لا يأتون يا كفافي
فلنذهب إليهم، نفاجئهم بالسيوفْ
الغزاةُ لا يأتون يا كفافي
الهُدهد يشرب الخمر في قاع غربته،
لا يصحو، مرارته، فقأوها.
يا بنات كنعان اللواتي،
يركضن، خلف الماعز في الجبال الشرقية،
الجبال التي تنتظر،
يا بنات كنعان اللواتي، يقتطعن قطوف العنب،
بأسنانهن البيض، كالأرانب البرّيّة،
بأظافرهنّ، يخمشن فضاء السكون،
كي يشرب الأسياد كؤوسهم،
بهدوءٍ في البارات.
اللواتي يغزلن قمصاناً مزركشة للغائبين،
اللواتي ينشدن لعصافير الندى، لرياح السَمومْ،
يتحنّينَ بالدم، ينشدن للهُدهد الساكت.
- سوف أمسك شجرة الصنوبر،
في مدرسة عين سارا الثانوية
سوف أمسكها، أعصرها،
حتى تذوب الخليل في كأسي،

أشربها، دماً في مرارة الخروع والفراق.
ثمَّ
ثمَّ يأخذني دمي إلى دم الخليل،
ولا أكتفي بهذا،
لا أكتفي بهذا،
لا أكتفي بهذا ...

- كلُّ شجرةٍ ... سيفٌ قاطعُ الحدِّ،
كل زعفرانةٍ، حجرٌ مسنون،
كل داليةٍ، تظاهرة كعدد الرمل،
كل الدور، مغاراتٌ ورموز،
ثم ّ لا نكتفي بهذا.!!!
ظلّت الحنونةُ، أمّي ... تسأل قوافلَ البدو، عنّي
الجوع يَقْرُمُني، لا أحد ينتبه للطفل الأزعر،
مارستُ مهنة السرقة، في درب العودةِ،
التهمتُ قطوف عنبٍ حرام،
وزهرةً بريّة، جعلتني أقوى،
لمواجهة الأحبة المنتظرين، في مدخل الفراق.
للكنعانيات، وجوهٌ من لبنٍ، وضفائر سمراء
كُنَّ يبعن الأسكيمو في الصحراء
شجر الشجاعة، يخرج من كهوف الرومان
من نقوش بني كنعان الأبديَّة
غضب الأشجار، لا يوصفُ في كتب البلاغة
وقد يجيءُ زمنٌ، وها هو ذا،
تنزع الأرض قشرتها،
ثم ّ لا نكتفي بهذا.
- ذهبنَ متشحاتٍ، بقمصان الدم، إلى الغاباتْ
لملمن الحطب الناشف، في عرس جفرا،
نقلن الحجارة للقدور،
ذهبن إلى سوق العطّارين:
طردنا قاتلونا،
نريد أن نسحق البهار، سُمّاً ...
لمن دقوا عظام أطفالنا بالصخرة
ثم ّ لا نكتفي، يا هُدهد الرموز بهذا،
ثم ّ لا نكتفي، يا أرنب القصيدة، بهذا،
ثم لا نكتفي، يا كنعانيات الدمع، بهذا،
ثم لا نكتفي بهذا
لا نكتفي بهذا
لا نكتفي بهذا ...

الأرجوانية

ثلاثة أغربةٍ سودْ

في طائرةٍ سوداء، لها نجمة
راعية تغرف بالدَلْو الماء
ظلَّ الغيمُ يراوغُ، كي يمنحها بعض إشارات خضراءْ
لكنْ ... ما انتبهتْ
واتَّحدتْ، بتراب الأرض العطشى لشقائقها:
- رصاصةٌ على بعد مترين مني
رصاصة في قدمي اليُسرى، وزَّتْ
رصاصة شقَّتْ خاصرتي، فانقطع الزُنَّار
رصاصة أحرقت جدائلي، التي نسَّقتُها بأمشاط العاج
رصاصة في حنايا الضلوع
تذكرتُ أخي، حبيبي الذي قبلتُه،
حارقة كالزعتر
تمرمغتُ بالأرجوان القاني، والصدَف التلحمي،
وأمسكتُ بأظلاف ساقيةٍ،
واتَّحدتُ مع شعبي الذي عدده كرمل البحر.
بكت الصفاصافة الناشفة،
بكت الغنَماتْ
بكي سيّد الشمال، أبي، وحبيبي، وبؤبؤ عيني
بكى الثعلب في حقل القثّاء
توقف رّفُّ الحمام، دقيقة صمتٍ في المنفى
اغرورق النهر بالدموع.
نسور الأعالي لاحقت طائر الحديد
نهشته بغيظ، لكن دون جدوى
خيَّم الأبدُ الدمويُّ على ساحة الأرجوانْ.

سجلاّت البحر الميّت

1. لم أجد من أشكو له:
لا تُديروا ظهوركم له، لا تُودعوه،
فهو يعرفكم، واحداً، واحداً،
يحفرُ أسماءَ زوّاره، في سجلاّت الأمواج.
أعرفه،
كنت أطلُّ كل صباح نديٍّ،
ألقي السلامَ عليهِ، عليهِ السلامُ،
من أعالي جبال الضوء، والضباب، والهيش،
صرير الجنادب، يؤنسني،
سقا الله، سقا الله.
أعرفه أيضاً في منافي العوسج والشوك،
تغشاني سحاباتُ ابتساماته الغامضة الحنونْ
تُدهش شجرتي، وعباءتي، وأمُّ فسائلي:
- كيف تضحك، يا طحيناً منثوراً على الشوك!!!
- أضحكُ يا حبيبي، وأنا أرثيه كذئبٍ ملهوفٍ،
في يوم جنازتهِ ... كان الشعراء الندَّابون،

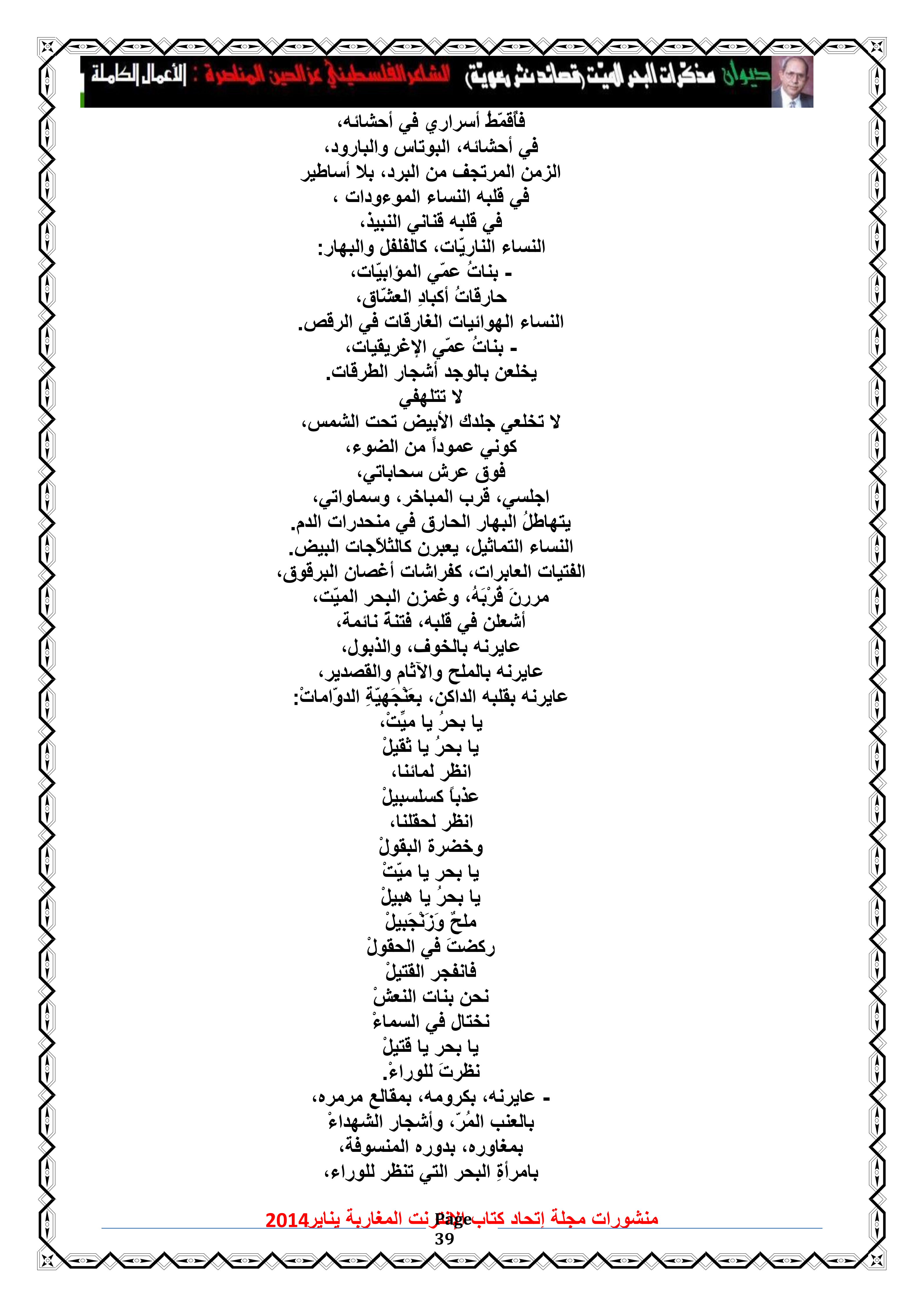
وكان البحر الميّتُ، يضحك منّي،
حتى وقع على قفاه من النعش الأبيض،
حين رآكِ تتدلّعين، كَمُهرةٍ غنوج،
بثوبك الأبيض الهفهاف،
ترفرفين، مثل حمامات الثلج، في أعالي الجبال،
في سفوح التزحلق، في الرمل البدوي،
في مدرّجات قبائل الأرجوان،
في حارة القزّازين في الخليل.
كرومُ النار في خدّيك، تتوهّج:
- الأخضر، والكُحلي في جفنيكِ،
وفق الأصول،
خفّفي من غلوائهما،
ارحمي يتاماك في الطرقات، يا أمَّ الغيث،
قناديل الغيث، في مسيرة الجفاف، أنتِ،
أم أساوركِ التي تتمرجحُ، كالطيور المهاجرة!!!
تصهلين، كمُهر الفتنة الربيعيّ،
بأضراسه الحليب ... وأسألوني
أنا الغارقُ في نرجس الملوحة،
في حنين المسافات،
في الهواء الفاسدِ،
في همسات الريح، والنميمة البيضاءِ،
أرقبكِ،
في الصورة التذكاريّة التي سرقتُها،
بمهارةٍ في الليل،
ثمّ دمرتُ حنيني: قطعةً، قِطعةً،
وفرَدتُهُ على خشب المقاهي البحرية،
كدفتر،
مزّعتُهُ،
بأحقادي، وفؤوسي، وانتقاماتي،
كان البحر، مطمئناً، يُصغي لأغنيتي،
يجلس بهدوء،
كقارورة غازٍ أنثى،
مثل أفعى لدنة، يتفجر بركان سُمّها.
شمالية، كانت الريحُ،
كيف صارت جنوبية ... يا عزيزي!!!
ثمّ بكيتُ عليهِ، كأنّهُ شقيقي.
إنْ أنا تجاهلتُكَ أيها البحر،
فليُذوبني، حنينُ الحمام،
حتى شقيقة روحي، أشاحت عنّي
حتى زعرورة الشوك، في مدرّجات الرومان،
كانت حلزونيةً، كالمطارات اللولبيةِ،
حين سألوها عن سنوات دمي.
لم أجد من أشكو له، في وحشتي،

حتى طبيبي،
يا حبيبتي،
عيَّرني بالحنين.!!!
2. طبقات:
دائماً كان يزمجر قلبي،
في بريّة البحر الميّت،
حيث المغاور، والسلاسلُ، والمنازل، والوعولْ
تليها،
تلالُ الملح،
غاباتُ قصب السُكَّر،
والمشمش البلديِّ،
بعدها،
تتلالا قصور الكنعانيين، بفسيفسائها، والكهرباءْ
تضيءُ خرائب روحي.
دائماً،
تأخذني، فخامةُ البحر، من أقصى شيخوختي،
تفركني،
تُفتتني،
ثمّ َ تواسيني بمقلاع، كي آخذ بالثأر،
تُعيد صباغتي بالأرجوان الكنعاني،
تسيل في الشعاب، مجروحة كالميجنا،
حيث الرعيان، يحرسون الليل بالأغاني،
ثمّ َ قرع الطبول،
والأدعية الطازجة في المُنحدرات،
عند قمر السُرى،
عند صلاة الصباح في مسجد اليقينْ
عند مغارة الجبل، حيثُ قطعتُ صُرَّتي،
حيث ولد مؤابُ، وولد عمُّونُ،
من نبيذ كرم أبي،
سُلالة خُلقتْ للدم، والسوط، والتجوال،
سلالة من أشجار الصبّار والحرقة،
سلالة من أرجوان البحر الغربيِّ،
من صهيلهِ الحنون،
سلالةُ المذابح الشهيرة، والصمت، والمسامير،
أيُّ بياضٍ فاقع، لم يكن فيه أحبابي.!!!
كان الشعراء الغارقون في العلامات،
الشعراء الزوّار الذين لا يعرفون،
حين تخلخلهمُ الأقداحُ والموشحات،
يتباكون، عند خاصرتك الشرقية،
يتوهمون، أنّهم قد قرأوا طفولة الحِصرم،
يتوهمون، أنّهم قد وصلوا إلى صابونة قدمي،
الشعراء الذين تعمّدوا الوصول، قبلي
الشعراء الذين استعانوا بالمهدئات،

الشعراء الذين استعانوا بهراوات الشرطة،
كي يسمعهم هذا البحر الميّت، بالقوّة،
أيُّ قطيع هذا المنتشر بأطراف القاعات.!!!
الشعراء الذين منحوا البحر
أوسمة من تنكٍ، وقلائد من خشب الذُلْ
عادوا هذا المساء،
إلى جحورهم، عادوا،
يرفرفون بقمصان الخيبة،
مع هذا، فقد زعموا أنَّ البحر الميّت،
كان مُبتهجاً في تابوته الفضيّ!!!
أنا الذي يعرف السرَّ في حصى الدهشة،
أنا المدجّج بالطفولةِ،
الفارغُ الهمّ،
أحمل همَّكَ يا بَحرُ يا قتيلُ ... وحدي.
أمسك شمسك من قرنيها،
وأغمّسُها في ملحك، حتى
يطّهر هذا الإثمُ المُزمنُ،
في صحراء قلوب الزوّار،
فلا تقتربوا من بحري.
أنا نرجس الغُدران في سهل الدم،
أتّقدُ كجمر الغضا،
يا مالك يا ابن الشكّ، والوساوس،
لا البرد الذي يُقشْعِرُ الغزلان في الأباطح،
يَثنيني
لا الأسلاك المتكوّرة كجلمودٍ،
بين القمر البحري،
وبين السيف الليلي الذهبيّ،
يمنعني،
من نزفٍ فوق المرتفعات.
أقبلُ البحر،
ملحاً أجاجاً،
أقبلهُ ناشفاً،
أقبله ميْتاً في نعش رماد الطبقات،
أقبلُهُ،
بركاناً خامداً في الجُرف، بعد الهزيمة،
أقبلُهُ،
زلزالاً نائماً، دمعتُهُ على خدّهِ،
يبكي أحبّته في القارّات.
وسواءٌ هُزم البحر، واستلقى قتيلاً مسجىً،
أمام قبائل الليمون، والزيتون، والعنب،
أو غاص في القاع، خجلاً من فعلتهِ،
ومن شِدَّة الحزن، تولّد الصهيل،
إنه قتيلي، وابنُ قبيلتي.

أمَّا الداليةُ السمراء، بكشاكشها الخضراء،
فقد صارت زجاجةً من نبيذ مُزّ،
من أجل الليالي المعتمة، كقاع القِدْر،
أمَّا البحر، قتيلي الذي يطلبني للثأر،
طبقاتُ أجنتهِ، نادتني في هذا الليل،
فهو الفتنةُ، وأنا في جنينةِ دار سيدي،
وعلى مقربةٍ من جسد البحر،
أحرسُهُ مثل أبي.

3. مذبحة البحر:
جالساً على عرش السحاب،
مرخياً سوالفي كوثني،
حتى أُتيحَ الطيرانَ، فوق الأرض، للشعراءْ
كلُّ شاعرٍ بدرهمين،
بمقلاعي، أتسلّى بهم، واحداً، واحداً،
أنقفُهُمْ بحصاة من الصُوَّان، فيهربون،
أزحلقهم إلى قمة الصخرة البازلتيَّة،
ثمّ َ يتدحدلون إلى القاع،
إلى القاع، إلى القاع، إلى القاع،
أيّها الشعراء المَوْتى.
أهبطُ من عليائي،
مفتوناً بالنرجس الجبليّ،
أتسلل بين أزهارك، يا بحرُ،
في مرآة السماء،
الحمامُ الأزرق يُوشوش القمح،
لا يتناجى اثنان، دونك يا بحر.
لم أجد من أشكو له،
حتى جرائدي، وعرباتي، ومناديلي،
الزاجلاتُ، لم يوصلن رسائلي،
حتى صديقي، مقلع المرمر، والرخام،
شكى من وقع إزميلي.
أمس، دفنت البحر في البحر، وحدي،
في عزلة الشيح، اخترقتُ بكلماتي، وحشتي
كفّنتُهُ بعد الغسيل، بورق الرند سِرّاً،
ثمَّ عدتُ إلى منفاي الصخري
لا تكن قاسياً عليَّ أيها البحر.
هل أقول لامرأةٍ تتهيّأ للزينة عن حزني!!!
هل أرقصُ وأرشُّ الدمعة في الأعراس!!!
هل أدعو صديقاً مُنْشغلاً بحفلة النفاق الرماديّة
كي يشاركني في مذبحة البحر !!!
هل أتاك أيّوبُ البدويُّ ليلاً يا بحر!!!
دائماً،
كانت عيناي ترقّان، كالنرجس،



فأُقمّطُ أسراري في أحشائه،
في أحشائه، البوتاس والبارود،
الزمن المرتجف من البرد، بلا أساطير
في قلبه النساء الموءودات ،
في قلبه قناني النبيذ،
النساء الناريّات، كالفلفل والبهار:
- بناتُ عمّي المؤابيّات،
حارقاتُ أكبادِ العشّاق،
النساء الهوائيات الغارقات في الرقص.
- بناتُ عمّي الإغريقيات،
يخلعن بالوجد أشجار الطرقات.
لا تتلهفي
لا تخلعي جلدك الأبيض تحت الشمس،
كوني عموداً من الضوء،
فوق عرش سحاباتي،
اجلسي، قرب المباخر، وسماواتي،
يتهاطلُ البهار الحارق في منحدرات الدم.
النساء التماثيل، يعبرن كالثلاّجات البيض.
الفتيات العابرات، كفراشات أغصان البرقوق،
مررنَ قُرْبَهُ، وغمزن البحر الميّت،
أشعلن في قلبه، فتنة نائمة،
عايرنه بالخوف، والذبول،
عايرنه بالملح والآثام والقصدير،
عايرنه بقلبه الداكن، بعَنْجَهيّةِ الدوّاماتْ:
يا بحرُ يا ميِّتْ،
يا بحرُ يا ثقيلْ
انظر لمائنا،
عذباً كسلسبيلْ
انظر لحقلنا،
وخضرة البقولْ
يا بحر يا ميّتْ
يا بحرُ يا هبيلْ
ملحٌ وَزَنْجَبيلْ
ركضتَ في الحقولْ
فانفجر القتيلْ
نحن بنات النعشْ
نختال في السماءْ
يا بحر يا قتيلْ
نظرتَ للوراءْ.
- عايرنه، بكرومه، بمقالع مرمره،
بالعنب المُرّ، وأشجار الشهداءْ
بمغاوره، بدوره المنسوفة،
بامرأةِ البحر التي تنظر للوراء،

عايرنه بأبجدية كنعان.
(أعيدوا لي، معاركي،
أعيدوا أبجديتي، وحجاري،
أعيدوا لي، شيحي، وقيسومي، وعراري،
حجر انتصاراتي الذي صدَّهم، واحداً، واحداً.)
يقع البحر الميّت بين بريَّة كنعان،
وجبال قلبي التي تصل الأرض بالسماء،
منكسرَ الروح،
مُسجىً
كشهيدٍ قديم، جرحه أخضر،
حين تدفقت الينابيع، هاربة باتجاه الجبال،
ثمَّ عادت، يوم جنازته للقاع،
بهدوء الحوريَّات،
حتى لا تنزعج الجنيّات، بثيابهنَّ المزركشة.
في الليل يعاتبنا البحر،
ونحن نسكن أعالي الرعب،
يتمدد البحر مازحاً، إلى أسرّة زوجاتنا،
تغار من مزاحه الصعب،
(يا بحر يا ميّتْ
يا بحر يا ثقيلْ).
نقرأ المراثي، ونكظم خوفنا،
نحن الملغومين، بالحقد، على قاتليهِ،
كُنَّا سَبباً،
فاصلةً،
حجرا،
إبريقاً
نصوغ لفلذاتنا، حليبَ الندم.
نحن جيرانه، وعشيرته، وأهله،
كنّا سبباً،
ننام على غصّةٍ من زقوم آثامنا.
نحن أحفاده الذين توارثوا، أسطورة الدم،
لم نلتفت في الخفاء للوراء،
حتى لا نلمح خطايانا المحنَّطة،
نَتَّهمُ أنفسنا كالعادة، على مذبحةٍ، لم نرها.

4. عنبُ البحر:
كانت النساءُ، لاهيات بزينتهنَّ،
على كل جفنٍ،
ظلالٌ من الكُحل، والأرجوانْ
سامقاتٍ، كنَّ، كالصنوبرات،
نهودهنَّ عنبٌ مالح، يا إلهي
أطِلْ قامتي، كي أراكْ
إلهي أطلْ قامتي، كي أراكْ.

كلُّ جبلٍ يتوكأ على قنطرةٍ،
تاركاً فسحةً من شبق،
تركض الخيل في ساحاتها الفساح.
هُنَّ أمّهاتنا، وحبيباتنا الرعويّات،
جالسات في ظلال السدود.
غرفتُ كبريتاً من البحر،
خلطتُهُ، بعنقود عنب حمدانيّ،
صَحَنْتُهُ، برحى المعاركْ،
قبل الموت، أشارتْ قانعة، بأصابعها،
قبل الموت، اتكأتْ فوق وسادة البحر،
قلت لها: مَسّدي أضلاعي، بحليب أجدادي،
دخلتُ فروعها، فانهمر الرذاذُ،
من قِرْبَةٍ، تَهُرُّ، من السماء،
كانت حبّات العنب الجندليّ،
تتهاطل في شراييني، كالعاصفة،
قبل الموت تجيء.
كم تلذذت بعذابات البحر في نومي،
نشاهده الآن، سمحاً كالتفاح،
ليّناً كفخذٍ ربيعيّ، أشويه تحت الشجرة،
لهذا يمكننا الآن، أن نقرأ أسرار القتيل،
أن نقرأ الصحف على ظهره، دون أن يغضب،
مع هذا،
فالبحر الميّتُ، جَمَلٌ صحراويٌّ حقودٌ،
لا يُؤمن جانبُهُ، حين يرقص السماح،
فلنحذر دوّامات البحر،
البحر الميّت، لا ينسى.
لا تغضبوا، إن غضب البحر الميّتُ،
فاجأكم بعَفْسَةٍ من كبريت اللعنةِ،
أو قنبلةٍ من قيء الرماد.
لا تعتبوا
إن هاجمكم، مثل ذئب مجروح،
وجركم إلى قاع خطاياكم، كالنمل الأسودْ.

- (سَمْحٌ مثلي،
نَزقٌ مثلي،
وجميلٌ هذا البحر الميّتُ،
مثلُ بناتِ عمومتنا في الصحراءِ،
وفي كريت العذبة، كالمشمشةِ البلديَّة.
غولٌ هذا البحر الميّت، طيبتُهُ، تمتصُّ
وشاياتِ الشعراءْ
الشعراءُ يبيعون المعلومات المغشوشةِ،
تحت الأضواءْ
كيف أصدّق أشجار الزقوم المرميَّة،

في بَهْو الجنرالْ
إن كانت من مزرعة البحر الميّتِ،
أم من وجع الموّالْ.)
- أيّها الشعراء الذين لم يفهموه،
أيّها الزوّار الذين يبحثون في سجلاّتِهِ،
أنا حفيده الوحيدْ.
أنا الذي رآه في قاعات المرمر، يرسم الخرائط،
هناك، سمعتُ دالية، تقول لشقيقتها:
أعراسنا هل تدومُ،
أم يغطّينا الغمْر العظيم في سدوم
يا أختي الجميلة، كالقرنفلة !!!
كان هذا، قبل أن تتكوَّم المرارة في طبقات القلب،
كان هذا، قبل أن أتزوج بالفواصل والخطوط،
أنا حفيده الوحيدْ.
دموعه من دموعي،
أبكيه كشهيد،
كشجرة زرعتها، في غبار ضلوعي،
فاقتلعوها في ليل الليل،
هو جدّي، وشقيق روحي،
هو سيّد عائلة المذابح،
لا تقتربوا منه،
لقد طوّبتُهُ،
في دائرة عقارات الكنعانيين،
نقشتُ مذابحه،
في سجلاّت حجر الانتصارات،
من أول مذبحة، قرب البئر في غابة الزيتون،
حتى آخر مجزرةٍ في قلبي،
هو القتيل القابل للاحتمالات.

رذاذ اللُّغة



أحدِّق في النصّ الرصين، كأجدادنا
كلُّ لفظةٍ مُلَوّنة بالكحل، يرفعونها
يرفعونها على أعلى الهودج،
يزفّونها بالطبول والأهازيج،
يقولون لها: تباركتِ، فتصبحُ مباركة،
ثمَّ
ينسون أنَّهم من قال ذلك،
كانوا طيبين إلى درجة الهَبَلْ.
حين أتدحرجُ من أعلى تلهّفي،
أجدهم عادوا، ولم يصلوا قمة الشبق،
كالبراميل الفارغة،
يتدحدلون على ظهور الخيل المُطهمة،
تُنهر بالأقدام والكرابيج.
- لا يتحرّك الساكنُ فيهم،
إلاّ إنْ حرّكهم، عن بُعدٍ:
مقطوعُ لسانٍ،
أو مجدوعُ أنفٍ،
أو سيّدٌ غريبٌ،
فلمن أشكو؟!!!
إن كان الوأدُ اللغويُّ، يتمُّ صباحاً.
حين تكون التفعيلةُ غاضبةً في الغابة،
التفعيلةُ، مثل عروسٍ، تتجلّى،
في ليلة دخلتها الأولى،
فأقول هنا أجد أصلي، وفصلي، وشجرة عائلتي
لكنْ ... حين أغازلها،
أتمحَّكُ بين جدائلها،
أجد التفعيلة، مثل مُجرّبةٍ، سئمتْ أيام الفتنة،
أجد التفعيلة، مغبّرة في رفوف القاموس،
أشعر أن مفازاتٍ وطحالب بحريّة،
توقف تدفق رغباتي،
أشعر، أنني لا بُدّ أن أدفع ثمن المهارة.
أنظرُ للإيقاع السريّ بين علامات الترقيم،
بشفقةٍ ملغومةٍ بالحقد،
حين يكون النصُّ تراكيب كارتونيَّة،
نَصٌ بلا لغةٍ، أو قنديل، أو سراج غولةٍ،
بلا قنافذ، ولا نوافذ، وبلا أحجارٍ كريمة،
لم يتبلّل برذاذ البحر.
حينئذٍ،
يحقُّ لحبَّة تينٍ مثلاً،
أن تغتسل مساءً بأغاني السنونو،
ويحقُّ لشمسٍ لاهبةٍ، أن تغطس في النبع،
يحقُّ للظلال الرماديَّة، أن تكون شمالية،
يحقُّ لفتاةٍ أن تمشّط شَعْرها القرنفلي،

ويحقُّ لي أن أبكي وحدي، دون حسابات الربح.
- الذوبان، هو الذروةُ في قاع البحر،
الأصلُ رذاذكِ، حين نُكسدرُ معاً مشتبكين،
على شاطئ الدهشة النهريّة.
أو أن نتراكض في غابات اللغة المشتبكة،
أو حتى في غرف الفندق:
(ألعبُ باللغة، كبدويٍّ في المدن الكبرى
مثل خليليٍّ، أو حِمصيّ في طوكيو،
ألعبُ باللغةِ، أصهرُها، وأنقيها،
مثل العمّال في مصانع الحديد والصُلْب في حِلوانْ،
أمسكُ بالمخطوطات المشبعة بالتكرار،
أنعفُها في النهر، مثل هولاكو).
أتأملُ لذّة التأمل، تحت الصفصافة، كالعصفور،
حين يكون الورق الأخضر، تحت بطانتها،
أبيض، مثل زبيب مخفيٍّ عن عين الشمس.
أو،
أركضُ باللغةِ، كما يركضُ الرعيان في الوديانْ
أرسمُ وشم قبيلتي، وعلاماتي، ودخاني
على أغنام اللغة البيضاءْ
أمسحُ السطور، إن كانت غامضة،
أوْ ... إن كانت واضحة أيضاً،
وأصنّفُها، ثمّ أفككها، ثمّ أعرّيها من سحري
أطارحها الغرام، في ظلّ عوسجةٍ هرمة
أوْ
أختارُ مكاناً مَدْرِيّاً في غابة قصب النهر:
البعضُ يفضّلُ، مقهىً في حارة البحر العتيقة،
البعض الآخر، يهوى الورقَ المفتوح،
كيما يُضلّلَ الفيروزابادي، وابن منظور.
فإن استجابتْ لي يا هذا، دون موانع،
كان بهِ،
لكن إن رفضتني،
أعطيتُ لها، موعداً في دفتر ملاحظاتي،
لا بأسَ بأن تزعم، أنَّ مواعيدك مزدحمة،
لا بأس ... ومن أجل التضليلْ
أن تشرب نصف الأقداح،
أو أن ترمي سيجارتك، بعد أول شَفْطة،
لا بأس ... ولكن،
اترُكْ بابكَ مفتوحاً للقاءٍ مفتوحْ
حتى لا تعتقد اللغةُ، بأنَّك عاشقٌ مبتذلٌ،
حين تقابلها في خلاءٍ مغلق،
حاولْ أن تسترخي،
فكِّكْ أوتارك، والأسنان الفضيَّة،
أتركْ للروح، حقولها الشاسعة،

أمّا حين يلتفُّ الساقُ على الساقْ،
وتصرخ اللغةُ الجامحة بحرقة،
لقد عصرتني، بما فيه الكفاية،
قُل للمُهرة: لا حدود لألفاظي،
لا عقباتَ أمام اندفاعاتي، وصراخي، وتقلّباتي،
أنا الفتنة الكبرى، والحدُّ الناري،
أنا شهيق الرغبات المُرَّة،
أنا غضبُ البحر، وموج الأعالي،
شهيداً في بحر اللغة، أسقط من فوق حصاني،
رغوةً تنجب قمراً كنعانيّاً، قدّام الدار،
فيه خصائصكِ الأرضية، وفيه عناصر أوهامي.

- فلنكسرْ هذا القوسْ،
ولنفتح أفقاً، يتهدّلُ، مثل ضفائركِ السودْ.
قالت لي: يكفي كذباً يا هذا، وادخلْ في الجمْلةِ،
دون مقدمةٍ، وبهارٍ، وتوابلْ.
ودخلتُ حديقتَها، كرذاذٍ، قالتْ:
أ ... وَ ... لستَ القائلْ:
... ...
فانفتح البابُ المسدودْ

فراشة متوحشة



غَفَطْتُكِ تحت الكرمةِ،
كحَجلٍ مطمئنٍ تائهٍ في الزرعْ
أخذتُكِ بالصفير، والتودُّد، والأغاني،

خُطوةً، خطوةً، حتى استرخيتِ كأفعى،
قرّصتُكِ بقلبي، فارتعشتْ حبّات الحِصْرِمِ
واحتجَّ الندى، ورفرفتْ أقحواناتُ الفجر.
أيتها اللدنةُ، يا غزالةً من نحاسِ مراراتي،
أطاردُ الفراشات، كي أمتصَّ الألوان والغبار،
رحيقُك أغواني، فالتهمتُهُ في تصلّب الشرايين،
أخذتُكِ بهدوءٍ على الدرجات المعشوشبة،
فابتهجتْ غابةُ الرذاذ،
وراقبني القندولُ، مثل الوشاة،
أما الأرانب البريَّة، فرمقتني بنظرةٍ خبيثة.
أخذتكِ بالصهيل، والسحر، وعسلِ الكلامْ
كانَ حصى البحر المبتلّ برغباتي
يصطكُّ من البرد، تحت أقدامنا النائمة.
أخذتكِ بالتعاويذ، والأرقام، والأماني
حين أمسكتِ بحصاةٍ ملساء من المعاركْ
فاضطربتْ مرجانةٌ بوشاحين،
ونجمةٌ بنهودٍ مشرئبة،
حين مددتُ يدي، في عُبّكِ الغامض،
نهرتني بالصياح، أمام القبيلة:
يا لصَّ التفاحْ
يا لصَّ الرمَّانْ
رمّانُ صدْيري فتَّحْ،
مثل البركان
فاحذرْ.
أخذتكِ، كاليمام في هدوء الغدير
مثل تدرّج الموجات المسافرات العائداتْ
يا فتنةً متنقلةً في طلعْ الأشجار
أخذتك كقرصانٍ ماهرٍ
ظلَّ البحر، شاهداً على ذبولنا
النوارسُ ظلّتْ تتبعنا بزعيق الأطفال
أنت مُمدّدةٌ مثل أفعى، تتشمّسُ قرب الرذاذْ
الصيّادون تغامزوا علينا في المدى الأزرقْ
خامداً كنتُ كالصخرة البحرية السوداء في صيدونْ
عند تخوم كنعان ... في صيدونْ.
كنعانيّاتُ قلبي،
مُتنهداً، قال أبي في سِفْره العتيقْ
حوريّاتٌ في قاع البحر، مُهرات المروجْ
في البساتين يتباهين، بقُذلات الأقحوان
مَلْويّاتُ الضفائر، يتغامزنَ على النارنج
يرقُبنَ دقات اللوعة في الصدور
شآميّاتُ الصهيل في غوطة شراييني
كلُّ ثغرٍ، برتقالةٌ تضحك، بأسنان الغزالات
تحت الصنوبرات الجَدَّات، يتقيَّلْنَ في ظلال الثلج

كنعانيّاتُ السماح، والقرميد في غابات الأعالي
كنعانياتُ مؤاب، يقرأن، توهّج حجر الانتصارات
شآميات الكرمل في وحشة الأسر
كنعانيات حَرَمون المثلّجات في كؤوس الرمّان
كنعانيات عيبال، والبحر الميّت، ونبيذ الأديرة
أيّها الموتُ الخنزير الوحشيُّ ... لماذا
لماذا تخطفه مني، قبل اللقاء؟!!
كنّا نمتطي الحنين على ظهور البغال
نقطع الخوف، بالحُداء، بسيوفنا اليمانية
غابات مريام، مبلولة بدموع الورْوارْ
نحرث الطمأنينة، دون جوازات سفر
نطلُّ من – مادبا – الرائية، كالفلسطيّين القُدامى
نلمح القباب، والكروم، ونار الأعالي،
شجراتُ البلّوط، في ممرّات – مَمْرا ... زرعناها
لماذا تسرق الشهد من أعمارنا القصيرة
دمهُ حليبٌ في أثداء النجمات، من بنات نَعْش،
دمه قرنفل في السفح، غديرٌ في الوادي،
دمه عسَّاسُ الحدائق العامة، منذورٌ للزاوية،
دمه عُهدةٌ، دمه قبَّعةٌ على رأس حارس الليالي.
قلتُ للريح: يا ريحُ ... خبّئيني، قليلاً
قالت الريحُ: إنني دون دارْ
قلتُ للريح: يا ريحُ دثريني، قليلاً
قالت الريحُ: ورْطةُ الوردِ، أنه في العلالي،
قال للشجيرات القديمات في الحقْل: وشِّحْنَني،
ثمّ َ لم يستطعْ، أن يداري فضيحَتَهُ بالقدودْ.

كم تلكأتُ، كيمامة عطشانةٍ، تحت شبابيك البحر،
كم توهجتُ كراعيةٍ قتيلةٍ، قبل أن يغتصبها القصَبُ،
كم وقفتُ مُبتهجاً بحقدٍ دمويٍّ إغريقي،
عند درجات المغاور، تحت صليب النوم،
هؤلاء الشعراء الرعويّون أحبابي
يتكئون على أسرّة التماثيل في عراء الحدائق،
كلُّ شاعرٍ يعرف، تاريخ طوبته المستطيلة،
يسكن فيها الضوء الأكحل، المُحنّط بالصلابة
بطيئة مساماتي من شدّة الوقوف في المفارقْ
بطيء قلبي الراكض، خلف حمامات السهوبْ
كلُّ ثعلبٍ يمرُّ بالتواءِ مشماس الجبل، صديقي
كلُّ الفراشات البطيئة، فوق طلعْ الزنبق، عشيقاتي
أتلذّذُ بارتكازاتها، تحت خاصرتي
أمسمرها، ثمّ تَنْشقُّ فلقتين من ناري
ألطعُها بسيخ انتقاماتي، في خلاء الضجيج
ثمَّ مثل جوريةٍ حمراء، أشمُّها برفق أخويٍّ حنونْ
ثمَّ أستعيدُ ملاعبي: ملعباً، ملعباً من شقائي.

شجرةً عتيقة، تدلُّ التائهين، كان أبي
حارس البحر الميّت في الأزماتْ
يُهندسُ المسافات، ويقلّم فوضاها
في النهار، حيث الخوف صفاء، والنعيب مَوَدَّةْ
يرسم رؤوس تفّاحات النساء،
النساء، يا إلهي، كم أغوين أبي،
عندما كان يقطع سهول حوران وجبال لبنان،
على فَرَسِه الحمامية اللون،
خلاخيلها من ذَهَبْ، ولجامُها من فضة،
حمامة حطّتْ على كتفه الرصاصي
قُبَّرةٌ آنستهُ، طوال الطريق إلى سهل البقاعْ
جنادبُ القفر وقفتْ، على جانبي الدربْ
كلُّ حجرٍ أعطى إشارة التحية، حسب الفصولْ
النساء البيضُ المغسولات بالضوء والزيتون
النساءُ الملفوفات بأكمام البنفسج والعباءاتْ
نساءُ الطين المُجفف، المرسومات في القرميدْ
النساء النائمات على الطاولات،
المنقوشات في الأفاريز،
كلُّهن ... مَرَرنَ، تحت خاصرة أبي
شبعتَ من اللهاثِ، ولم تشبع الأرضُ يا أبي.
أراه جالساً على عرشه الصنوبري في العزالْ
تاج الكرمة، فوق رأسه، وأثلام الحقول في جبينهِ،
الدخان يغشاه، مثل كتيبةٍ ضالّةٍ في الضباب،
البحر الميّت، يجثو عند قدميه، يمسح صُبَّاطهُ،
ذؤابات النساء في كفّيه، في زجاجاتِ الأعالي،
النساء الوقوراتُ، النساء القدّيسات،
النساء المليئات بالخضوع الجليل في الصباحات.
البحر الميّتُ ساحرٌ جميلٌ، يعشقهنَّ، ويتحسَّر،
يغنّين رجولته المفقودة، كي يستيقظ الرعد،
يغار البحر الميّت، مثل سفرجلة صفراء،
هزيمتُهُ طالتْ، فرثتْهُ نساءُ الينابيع،
كما يرثين، ضحاياهُنَّ في الصبا،
تحت قش البيدر.

كان يقابلهنَّ، تحت زيتونة الوعر،
واحدةً، واحدةً، يلتهمُهُنَّ كالإجاصاتْ
يتموَّهُ بالأعشاب، كي تنهمر الطمأنينةُ،
يصطادهنَّ بكلام معسولٍ، سرقهُ من خلية النحلِ،
فإنْ أبتْ إحداهُنَّ، أو تمنَّعتْ، عايَرَها:
- يا عاقرُ يا بنتَ البحر الميّتْ
طعمُكِ ملحٌ، واللذّةُ ميتة، مثل البركان الهامدْ
أين الأثداءُ الآراميّةُ، أين القمرُ الصاعدْ
أين جنونُ ضفائرك البيضْ.؟؟!!!

- يا قصبَ السُكَّر، لا تتباهى، رمحُك مكسورْ
ما زالتْ نهداي تَنِزّان،
كنبع حليب مغرورْ
- قُمْرِيَّةٌ هذا الجبل العالي
لم يَمْسسْ أحدٌ هذا الغالي
غير الزعتر والزنبق، عند غدير الصفصافْ
- إن كنتَ شجاعاً، فاعزفني بين أصابعكَ،
وقصْفِصْني، مثل حُبيْبات الرمَّانْ
ألحقكَ إلى الغار المهجور، أو الشلاَّلْ
- حفرة أيّامي ناشفة، والبئر مُطيَّنةٌ،
بالشمع الأحمرْ،
أين المطر على الواحات، وأين السَحْجاتْ
إن كنتَ العاصفة الغاضبة النَوّ، كما تزعمْ
فأنا البركانُ البِكْرُ المرمرْ
فتقدّمْ للجولةِ، يا أخضرْ.

- حينئذٍ يقتاد أبي فراشاته، تحت عوسجةٍ هرمة،
يَفْتَرسُهُنَّ، كذئب مذعورْ
البحر الميّت، يَطُقُّ من الغيظ
وأنا أتفرج بين خرائب السَرْد الرائي.

- ها أنتَ الآن مبحرٌ ميّتٌ يا أبي
حملوك على أكتاف السنديان إلى الوحشة
وها أنذا، أقطع المسافاتِ في مواعيد اللغة
أستحضرك أمامي،
وأعاتبُ الموت العَقورْ.
صباحُنا ... فُلٌّ، وحَبُّ الملوكِ، يا أبي.
صباحُكَ، خوخٌ، وزبيبٌ، وتوتْ.

أعالي كنعانيا

إنْ وجدتمْ عَظْمَةً مُعَفَّرةً بالتراب النديّ
فهي، حتماً ... أنا.
أوْ وجدتم شجيرةً برية نامية بالصُدفة،
ليست أبداً صُدفة.
إنْ صرخ الولد الكرمليُّ في منعرجات الوادي
يا أبي، يا أبي... خوذة جنديٍّ قديم،
ليس قديماً يا ولدي، صدّقني.!!!
إذا مرَّت العاصفة،
لملمتْ شيئاً من طلع غباري
فهي، قد مرّت فعلاً،
رسمتْ ظلّها في الجدار.

لو تفتّت حجر النُّصب، ذرّاتٍ، ذرّات:
بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء،
فهي ألوان قلبي.
إذا دهسوا قبورنا بالجرّافات،
صرنا حديقةً عامَّة،
حيث يلعب الأطفال، جيداً، قرب الرموز.
إذا باضت اليمامة على غصن يصل إلى السماءْ
إنْ مسَّتْ قبري، وطارتْ
ألوانها، ألوانه، ارتفعي أيتها الألوان عالياً،
فوق أسلاك الكهرباءْ
إنْ رفرفتَ – أيّها الحبيبُ – في أعالي كنعان
في أعالي كنعان،
إن وصلتَ إلى جبال جَرْجَرَة،
إن هربتَ – قبل الميلاد – من الجفاف،
فأنتَ يمامة كنعان،
تبربرتْ في أثينا،
وانزرعتْ في سفوح الأطلسْ.
- هُنَّ بنات عمّي، إغريقيّات،
اقتلعن أشجار الوحشة، عند مساقط المياه.
- هُنَّ بنات عمّي، أمازيغيّات،
حملن التفاح في أطباق السماوات السبع.
- هنّ بنات عمي، النوبيّات،
يتناثر النرجس في أنحائهنَّ الدمويّة.
- هنّ بنات عمي، صحراويّات،
يرعبن الواحات، والرمل، والسيوف، والأغاني.
للصحابيّ: نعيم الداريّ، ينشدن بين الكروم
هذه الأرض، لذريَّة السيّد الجليلْ
ثمّ َ أصبحنَ، عنباً في أعالي الخليل
يغتاظ البحر الميّت، حين يراهُنَّ في الأعالي
مثل عناقيد البلّور الصافي في مزرعة القلبْ.
- هُنَّ بنات عمّي، خليجياتْ
في قاع بحر اللؤلؤ، يَصْطَدْنَ قلائد التعبْ.
- هُنَّ بنات عمّي، مؤابيّات،
كمقالع المرمر والرخام، في قاع الأردنّ الولهانْ
ينشدن للخيول أغاني الثلوج.
أكان لابدّ أن ننتظر، كلام الرواة قروناً،
لكي نعرف:
كنعانياتٌ كالأبنوس في غابات الفلّين،
كنعانياتٌ كزبيب بنات الشام،
رعين نقاء المتوسط في قلبه الأبيض،
خلعن شتلات الزيتون، شرقي بيت لحم،
وزَّعنها على النوارس، والحمام الزاجل،
قلن للريح: يا ريحُ انثُريها على الفصول.

كنَّ يُفطرن اللبن، والعسل، والملبن الخليلي
كنَّ يمشطن شعورهُنَّ، بأمشاط عظم الغزال
في صحراء النَقبْ
يتسلّينَ بحبّات خشب اليُسرْ في بيت لحم
يرعين الجفاري، في سلسلة الجليل الأعلى
ومغارةُ الكرملِ، شاهدةٌ على ذلك
غور أريحا، جسدُ البحر الميّت، والمخطوطاتْ.
- كنعانيات تَموْزَغنَ، هنَّ قبائليات الزيتون.
كأنّكِ تفاحةٌ مُشَرَّبَة بالحمرة الكرمليَّة
كأنك خليليَّة، يا دليلة الضوء،
أكتم صرختي، دهشةً في بئر القلب،
حين أحدّق في وجهكِ في الصفِّ،
ثمّ أرعوي خجلاً،
أستاذٌ يعشق تلميذتَهُ الشقراء الزيتونة
عيناها، إلهي، أسكني في قاع الزرقة، قرنينْ.

- أبدأ من شتلات التبغ في حقول بني نعيمْ
كي أصل مع الفجر،
إلى دخان الشجارات في هارْلِمْ.
أبدأ من حارة القزّازين في الخليل
كي أصل إلى قيثارات سنتياغو.
أبدأ من سور الأزبكية، في الفسطاط
كي أصل إلى الحيّ اللاتيني في مفترق الضوء.
أبدأ من أسوار مريام الشمالية في كنعانْ
حتى أصل كريت وروما.
أبدأ من قرطاج العدل، وهمهمة الفرسان،
حتى تستيقظ في قلبي أثينا.
أبدأ من حجر مؤاب، وعُهدةِ عمر،
ومواثيق حمورابي،
من فصل في كتاب الكاهن الكنعاني
من جوقة عصافير في المسجد الأموي
ومن زخرفةٍ حرقوها في الأقصى
حتى أصل الريح بالريح.
- إن وجدتم سفناً تائهة، تجوب القارّات
فهي مراكب جدّي كنعان.
أبدأ من شراييني، وقميصي الزراعي المشجَّرْ
كي أصل إلى قلب العالمْ.
- لكنْ، مَنْ منّا، يعرف مسقط رأسه
يا - سان ... جون ... بيرسْ!!!

صدرت (1969)

الديوان الرابع